المشاعل

محمد محمود حسين
ابراهيم السيد حسن

إهـــــداء 2005

الكاتب الإعلامي/ فاروق خورشيد
القاهرة

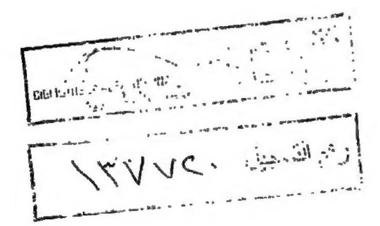
المشاعل

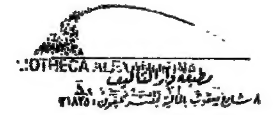
نظم الشعر

محمد محمود حسين

كاتب القصة

ابراهيم السيد حسونة





مطبعة دار التأليف

٨ شارع يعقوب بالمالية ... تليفون ٣١٨٢٥

الإهداء

إلى الذين يجتثون الشوك . .

ويغرسون الأزاهير . .

نهدى . . المشاعل . .

يا جمال

يا جمال
كل يوم ..
يرفع الأحرار مصنع .
في بلادي ..
إثر مصنع . . .
وبه .. يوماً سنبلغ
مرفأ الخير سنبلغ

وسنبزغ
من توابيت الدجى الآمال يوماً
ذات يوم

نبزغ الآمال يوما
وحزازات النفوس
سيواريها التراب
وانتفاضات الشباب
سترّوى الأرض إن شاءت بسفوح الدماء
بدموع الكبرياء
ستروّى الأرض إن شاءت بدمع الكبرياء
وستمضى ..
دائماً للخلد نفسى
تتقى ..
أوهام أمسى
يا جمـال ..

*

أنت فينا ومضة الحق . .
ولا زلت بنا .
تعبر التاريخ شهماً أيّـداً
تزرع الأيام ..
عزاً وإباء
كبرياء .

* * *

يا أخي ..
نحن على العهد.. ولا زالت محبة
لك في أعماقنا البيضاء لا زالت مودة
نفرش الدرب اخضراراً .
وازدهارا .
أنت أرضعت شباب الجيل من قلبك عزاً
فأحال الليلَ فجراً
ومضى كالليث حُرا

* * *

دمت فينا .
يا رسول الحق دهرا
بعد دهر ، دمت دهرا
دمت ذخرا
لشباب العُرْب كي يبلغ أمرا .
ياجمال

مدام روزبانو

دوى صوت الباخرة معلناً اقترابها من الميناء ، وقام عمال الميناء بملابسهم الزرقاء يقابلون « الضيف » الوافد ، وتحركت من بين ثنايا جلابيبهم الأذرع المفتولة ، والصدور العريضة التى امتلأت بالشعر فاستحال كل منها إلى غابة نبتت فى حنايا إنسان ، بالرغم من بعض الأجساد التى جفت واستحالت إلى أعواد هشة . .

وأخرج الريس « حمدان » علبة صفراء من جيبه ، وسعل قليلا ، ثم بصق على الأرض ، وأخرج شيئاً ملفوفاً فى أوراق « السلوفان » ، فامتدت إليه معظم الأيدى المعروقة ، وكل الأجساد الهشة تلقف ماتود أن يعينها على مجهود اليوم الشاق . .

وجلجلت ضحكة ! وتسرب وسط الرجال صوت الريس « اسماعيل » وهو يسرع فى خفة يحسده عليها ذوو الأجساد الهشة . .

— إيه ده يارجاله ، إيه الهباب ده ، هو حيسلكم إلا المدعوق ده .

والتفتت إليه بضع نظرات مشفقة ، واهتزت بعض الرؤوس أسفاً . .

وحين وصلت الباخرة إلى « البرطوم » ، وقف بعض الرجال أسفل « البكرة » ينتظرون إنزال حملها ، وصعد آخرون سلم الباخرة إلى أعلى

وملأت حركة الرجال الباخرة بالجلَبة ، وأرسلوا حناجرهم بأغانيهم « الاسكندرانية » ، وعلى نغماتها استحالت السواعد المعروقة إلى حركة دائبة .

وعلى سور الباخرة وقف « السياح » يرقبون المدينة التى فتحت لهم ذراعيها ، ويتعجبون لهمة الرجال ونشاطهم . ونظرت راكبة من ركن الباخرة إلى الرجال وهم يصعدون فى خفة ونشاط ويعودون وقد حملوا حقائب المسافرين ومهماتهم وكأنهم لا يحملون شيئاً ، وأعجبتها الأذرع المعروقة ، والأجساد اللامعة فى ضوء الشمس ، والعرق المتصبب من الرجال ، وحانت منها التفاتة إلى « اسماعيل » كان أكثر العمال نشاطاً ، وأخذت تتأمله فى عجب . .

إنه لم يزل بعد شاباً ، فى حوالى الثانية والعشرين من عمره ، ومع ذلك يعمل فى نشاط عشرة رجال . وأحست الراكبة

بالحسد تجاه السيدات المصريات السعيدات بهؤلاء الرجال ..!!

وأثناء انهماك الرجال فى العمل ، انطلق صوت ينادى بلكنة عربية غربية .

— هس . . إنت .. تعال هنا . .

واستدار « اسماعيل » ، واستدار معه بقية الرجال يستطلعون الأمر . وانطلقت يد الريس « حمدان » تدفعه من ظهره .

— إجرى ياوله ، شوف « الست الخوجاية » عاوزه ايه . .

ووقفت الأيدى عن العمل ، وظلت الأعين تترقب فى حسد وسار « اسماعيل » ، وهو فى حيرة من أمره حتى وقف أمام « الست الخوجاية » ، وقال بلهجة مؤدبة :

— نعم ياست هانم

فابتسمت « الخوجاية » ، ثم سحبت كرسياً جلست عليه ، وناولت اسماعيل آخر ، فنظر حوله لا يصدق أنها تدعوه للجلوس. وظن أنها تقصد شخصاً آخر

— إيه . . لمين ده ياست هانم . . ؟

فردت « الخوجاية » بلهجتها العربية المكسرة

— ده علشانك إنت ، ثم أشارت إلى الكرسى

— اتفضل .

فحرك « اسماعيل » رأسه والعجب يملأه . .

— لكن ياست هانم . . أنا رجل عاوز آ كل عيش . . وشغلنا مش عاوز قعاد

فربتت « الخوجاية » على كتفيه العريضين تدعوه للجلوس ، فجلس اسماعيل فى ذهول . وحين نادى على الريس كما أمرته ، حضر الريس « حمدان » مسرعاً ، فهمست « الخوجاية » فى أذنه ببضع كلمات أخذ يهز رأسه بعد كل كلمة منها ؛ ثم فتحت حقيبتها ، وناولته شيئاً ابتسم لرؤيته ، وهو ينظر بطرف عينه إلى اسماعيل ، ويأمره بأن يكون فى خدمة « الست » .

* * *

انتهت الإجراءات الجمركية ، وهبط ركاب الباخرة إلى الرصيف ، وهبطت مدام « روزيانو » وخلفها « اسماعيل » ، واقترب أحد التاكسيات منها ، فركبت ووراءها اسماعيل بعد أن أوصى الريس « حمدان » بأن يخبر والدته بأنه سيتأخر فى العودة ..

وأمام إحدى الفيلات الرائعة فى حى « جليم » نزلت مدام « روزيانو » وخلفها « اسماعيل » . . وجلس يستريح فى إحدى الصالات إلى أن أمرت الخدم بأن يعدوا له حجرة خاصة ، ثم أمرته بأن يذهب إلى الحمام ليزيل عن نفسه غبار اليوم . وحين

خرج « اسماعيل » من الحمام وجد فى الحجرة التي أعدت له تشكيلة رائعة من الملابس هدية من مدام « روزيانو » ، وأقبلت عليه المدام فى ثوب شفاف ، يسبقها عطر يخطف الألباب ، وجلست بجواره على أحد المقاعد الوثيرة ، فأحس بطراوة جسمها ، ولمح فى عينيها بريق . . جعل الخدر يسرى فى أوصاله .

إنه شاب ، وحقيقة أنه لم يمارس التجربة وأن الشرف له فى أفكاره مغزى . . ولكنه على كل حال رجل ، وهو بشر . . وتحركت فحولته وأحس أبعنفوان شبابه حين طوقته بذراعيها ، وكلماتها الراطنة تلتقى بأذنه مع فحيح أخس لأول مرة أنه محبب إلى نفسه ، فتحركت ذراعيه تجذبانها إليه ، وأخذ يقبل قبلات محمومة ، . ويلمسها لمسات بكر ، كأنه يخشى على جسدها الناعم من خشونة أصابعه .

وخلال لحظات كان يعيش أجمل ساعات عمره .

* * *

غاب اسماعيل عن الجمرك فترة كبيرة ، وأرسل الرجال أحدهم يتلمس أخباره ، وحين أخبرهم بما وصل إليه . هالهم ما تردى فيه.

وهمهمت أصوات

— إزاى الكلام ده . . يعيش مع « الخوجاية » ازاى . .

وسعل الريس حمدان ، ثم بصق على الأرض بصقتين .

— لا . . ده مش ممكن ، الولد لازم يرجع تانى . . لازم يسيب الكافرة . . ده حتى ربنا مايرضاش عنا ياجماعة . .

وكأنما كانت فعلة اسماعيل هى وحدها التى لن يرضى عنها الله، فقد أرسل الجميع همهمات موافقه . .

— طب وبعدين . . إيه الحل ؟

ألقى الريس « على » بهذا السؤال فى صوت أجش ، وشاربه يتلاعب إلى أعلى وإلى أسفل ، كأنما هو الآخر لا يعجبه فعلة اسماعيل .

وتحرك فى قلب الريس « حمدان » إحساس آخر ، فالجميع يعلمون أن الريس قد وضع العين على اسماعيل ليتزوج ابنته ، ورأى أن الأمر لايحتمل التسويف

— إحنا لازم نروح له ، لازم نعقله . . لازم نخليه يرجع تانى .

ولم يهدأ الجميع إلا بعد أن اتفقوا على أن يذهبوا إليه الليلة . . وإما أن يعود معهم ليرد كرامته وكرامتهم ، وإما . . .

وارتفع صوت الموج صاخباً مرتطما بحواجز الميناء . . وألقى أحد الرجال بحجر ، فتاه وسط الدوامة الصاخبة . . .

* * *

تسللت شمس الأصيل الصفراء إلى صفحة البحر تداعبها ، وتسلل خمسة رجال إلى الفيللا التى يحيا فيها « اسماعيل » حياته الجديدة . .

وتقدم الريس « حمدان » فلطم الباب بقبضته الخشنة ، وبعينين يتطاير منهما الشرر نظر الريس « حمدان » إلى الخادم النوبى الذى خرج إليه يسأله عن حاجته ، ثم دفعه وقدمه تتحرك نحو الباب..

— فين الوله « اسماعيل » . . .

فرد الخادم باستغراب :

— مين . . ! ! اسماعيل بيه . .

فلكزه الريس « حمدان » لكزة أخرى أزاحته عن الطريق

— إيوه ياخويا بيه وزفت . .

وأحس اسماعيل بالجلبة ، فخرج يستطلع الأمر . وحين وجد جمع الرجال ورأى الشر فى أعينهم ، وجد أن الأمر يحتاج إلى شيء من الذكاء . . فقال وهو يتصنع الهدوء . .

— إيه ياجماعه ، فيه إيه . . إيه ياريس حمدان . . مالكم . .

فرد الريس حمدان ، وهو يلكز الريس « على » بكوعه هذه المرة . .

— لأ مافيش حاجة يا ابو السباع . . بيه . . قل له ياريس على فيه إيه . . أحسن المحروس لسه مش فاهم . .

وانطلقت أصوات مزمجرة

— آه .. ماهر انت لازم ترجع ، وسيبك من الست الكافرة دى ..

فابتسم اسماعيل ، وقد فهم مقصدهم ..

— مافيش مانع ياجماعة ، أنا حارجع معاكم .

وسار معهم — وفى الطريق أخبرهم أن المدام غادرت البلاد هذا الصباح عائدة إلى إيطاليا بعد الانتهاء من الإجراءات الخاصة ببعض أملاك « المرحوم » زوجها فى مصر .

* * *

ظل « اسماعيل » يتردد على الجمرك يوماً ، ويتغيب أياماً ، وكانت الرسائل التى يتلقاها من مدام « روزيانو » ويقرأها له الخواجا « مانولى » تزيد ما به من حب ووجد نحوها ، واستمرأ اسماعيل التجربة ، فسعى حتى وجد عملا على إحدى البواخر المسافرة إلى روما . وفى اليوم الذى وجد فيه هذا العمل حرر له الخواجا « مانولى » رسالة إلى مدام « روزيانو » يبلغها فيه بسفره .

أعد « اسماعيل » نفسه للسفر ، ومع أول الرحلة استقل الباخرة ، وفى قلبه أمل .. وشوق . وظل طوال الرحلة يتذكر أيامهما الماضية معاً ويعد أيام الرحلة يوماً بعد يوم يمنى نفسه بلقياها ..

وفى ميناء روما . . وجد اسماعيل مدام « روزيانو » تنتظره ، وفى فيللتها أعادا معاً ذكريات الاسكندرية .

وذات أمسية ، عاد من الباخرة ليجد ضوء غرفتها مضاء ، وباب حجرتها مواربا ويفوح منه عطرها الأخاذ الذى طالما أسلبه لبه فى الاسكندرية ، فتسلل إلى غرفتها . . ولكنه لم يتمالك نفسه . فقد وجدها فى أحضان أحد شباب جنسها ، وابتسمت له وهى تحاول أن تقدم له السنيور « فنفانى » ، ولكنه استدار عائداً إلى الباخرة ، وهى تحاول اللحاق به وتتعجب من تصرفاته الغريبة معها ، وتحاول أن تسأله عن سبب غضبه ، ولكن لم يعرها التفاتاً .

وفى رحلة العودة ، جلس اسماعيل فى غرفة المهمات بالباخرة ، وقد شمر عن ساعديه ، وأخذ يغسل ما علق بأحد « المواعين » من أوساخ ، ثم ألقى المياه القذرة إلى البحر : وعند مارست الباخرة فى ميناء الاسكندرية ذات صباح ، خلع « اسماعيل » ملابسه ، ونزل يغتسل فى البحر ، ثم أقبل على الرجال وقد استراحت نفسه وألقى إليهم بتحية الصباح ، ووقف على الباخرة يفرغ معهم حمولتها وقد تصبب العرق منه وصوته يرتفع بالأغانى الاسكندرانية .

وفى المساء كان « اسماعيل » فى منزل الريس « حمدان » يخطب ابنته .

إصنعى

وستنهضين

وستبلغين ذرا المحال . . ،

ستبلغين . .

إذا مضى ركب السنين . .

وستنثرين الورد والأحلام . .

حالمة الجبين .

يا بلدتى

يا موطن الأحرار داعبنى الحنين .

إنى إليك اليوم عاودنى الحنين .

فلتبسمى . .

رغم المخاوف فى وجوه العابرين .

رغم الخطوب السود . . لا . . لا تهرقين .
دمع الخرائد والبنين .
ولتغرسي . .
في أنفس الأحرار زهر الياسمين
الشمس تبزغ من هنا بسواعد المتآلفين
ليدف في ضوء العلا . . . .
ركب الرجال الكادحين .
يا مصنعي . . .
نبض غريب
في خاطري
نبض غريب
نبض يحن لقلعة نبتت على ظهر الكثيب .
لا تجحدن مشاعري . . .
فأنا . . أنا الابن الحبيب
الشعر من دفق القلوب
سكبته دمع القلوب .
وشدوت . .
شدو العندليب
في يوم ميلاد الضياء
شدوت شدو العندليب

أنا ها هنا . .
وأخي هناك . ،
يضمنا العمل الصعيب
المجد . .
بالعرق الصبيب يكون بالعرق الصبيب
لا بالمنى
إن المنى ذابت على شفة الغروب
مثل المدامع
في يباب الأرض دائمة النضوب
أقم المصانع ها هنا . .
فغد لنا . .
رغم الخطوب . .
أنا رغم أنقاض السنين
شدوت شدو العندليب
وبرغم ألسنة اللهيب
بذرت في الأرض الحبوب
للناس . .
كل الناس . .
للأحرار في قمم الغيوب

المشاعل

يا مشاعل . .
دمعك الغالى على دربى مصانع
ومزارع .
تزهر الآمال فى أوداء هاتيك المرابع
ومراتع .
لجنود البعث . .
لما . . ثار فى النوام ثائر
ثائر . .
جافى المضاجع . .
هيج الشعب . .
وناضل .

وإذا ما الشعب ثارا
حطم القيد وصارا
معقلا . .
تتفذ منه . . كل يوم
للحيارى . .
شمس مجد .
تترك الناس سكارى
فابعثى . .
لحن البلابل
أنت يا هذى المشاعل
مستراد . .
ومراد . .
ونشيد . .
رددته . .
فى انبثاق الفجر أوتار الخناجر . .

ملك

المنعطف قليلا فى حارة عبد النبي بكفر عشرى بالاسكندرية يجد زقاقاً ضيقا كتبت عليه بلون الرماد حروف باهتة تنم عن أنه كان له إسم اندثر مع الزمن . . فالكلمات الباهتة تقول إن الزقاق يسمى بزقاق القبارى .

وزقاق القبارى كما تعرفه طفولتنا كان يفصل الحارة عن الشارع الكبير ، وكان يحتل رأس الزقاق بيت صغير قديم يحيط الغموض بكل جوانبه التى تآكلت مع الزمن ، ولم يكن يسكنه أحد . فكنا نراه مغلقاً لا يفتح بابه أو نوافذه فى ليل أو نهار .

وكانت تمتلىء جعبتنا بالكثير عن الزقاق وعن البيت ، مما كنا نسمعه من الكبار من أقاصيص تنسج حولها وكانت هذه الأقاصيص ترعب قلوبنا الصغيرة من الأشباح التى يقال إنها تسكن البيت وإنها تخرج إلى الزقاق ليلا لتصطاد ضحاياها وتغيب بها داخل البيت ، وقد سمعت والدى ذات يوم يقول إنه رأى أحدها ذات أمسية فأسرع إلى البيت وقذفت نوافذ البيت بالحجارة ، ثم وقفت خلف النافذة تتمطى حتى وصل رأسها إلى سطح البيت فسمع لوقع مرآها صدى يجعل البيت كله رعباً ، ثم تنكمش حتى تخالها قطعة من الحجارة ملقاة فى وسط الطريق . . ولم يشفع

لوالدى إلا ترديده آية الكرسى عدة مرات بلسان متلعثم حتى ذابت الأشباح من أمام ناظره . . ! !

وكانت هذه الأقاصيص تجعلنا نحن الصغار نرتعد فرقاً ، فما أن كان يقبل الليل حتى يسرع كل منا إلى حضن أمه يخفى فيه رأسه ؛ ولا تبارح الأشباح مخيلته حتى يداعبه النعاس وينام .

أما بالنهار فكان الزقاق والحارة يموجان بالحركة . .

وكانت جدتى — رحمها الله — تملك (زريبة) فى الحارة ، وبضع عربات تستعمل فى نقل القطن من (الشون) . فكنت ترى حركة العربات طوال النهار داخل الحارة ، أما بعد العصر فكان (الشغيله) يجلسون فى الزريبة يشربون الشاى ، وكان من بين هؤلاء الرجال (ملك) . .

كان ملكاً بحق وحقيق . . فى كل شيء . . أفكاره وملابسه . . كان يتكلم كثيراً عن دولة وهمية لا تعرف مكانها ويحكمها وحده ، وجميع رعاياها من شعبه المختار . . وكان يلبس جلباباً ذات لون أحمر . . ويلبس طرطورا يخيل للرائى أنه اقتطعه من جلد حمار وحشى ويمسك فى يده اليمنى قطعة من الخشب ذات لون أخضر باهت يصر على أن يسميها سيف الله البتار . .

وكان هدفا للعبنا ومرحنا . . فكنا ننتظر مجيئه كل يوم لنجتمع حوله فى شبه مظاهرة هاتفين بحياته . . وعباطته . . وكان يفرح

كثيراً ويضحك حتى يخرج الزبد من شدقيه . .

وذات يوم وفد على الحارة ساكن جديد ، فاشرأبت الاعناق كلها اترى هذا الوافد الجديد وتستقبله ، وتجمع الصغار على رأس الحارة ، واحتلت النسوة عتبات البيوت . وكان الوافد الجديد فتاة جميلة فى ربيع عمرها تجلس على عربة صغيرة تحمل « عفشها » الذى كان عبارة عن « كراكيب » . . . ومرتبة ومخدة ولحاف فى لون الأرض . وزير وطبلية ، وصندوق خشبى وحصيرة ، وبضع حقاق صغيرة .

سرى الهمس بين الجميع ، وامتلأوا بالدهشة فقد اتجهت العربة بحمولتها ناحية بيت الجن — كما كان يحلو لنا أن نسميه — ، ونزل « العربجى » ، وأفرغ حمولة العربة ، وتجمعنا حول العربة لا يجرؤ أحد منا على مس عتبة البيت ، وتطلعت النسوة إلى بعضهن ، ومالت بضع رؤوس يسرى الهمس بينها وأن كانت لم تصب من الحقيقة شيئاً ، واستقر الساكن الجديد بالبيت بالرغم من كل شىء ، وعادت العربة فارغة ، ولأول مرة فى تاريخ الحارة فتحت نوافذ البيت .

ومر الحادث علينا نحن الصغار عادياً . وإن لم يخل من بعض الغموض ، وبالرغم من قدوم هذا الساكن ، لم يكن أحد منا يجرؤ على الاقتراب من عتبة البيت ، أما الكبار فلم يكن ينقطع الهمس بينهم . . .

وعاشت الفتاة وحيدة .. إلا من غموضها .. فلا هى تتصل بأحد ولا أحد يتصل بها . . . ، ومن شبح رؤيا يخرج من البيت ذات ليلة متأخراً، وتكرر خروجه بعدها كل ليلة مستتراً برداء أسود صنعته الطبيعة ، حتى يبارح الزقاق .

. . .

وقامت الحرب ، واحتل (الشون) القائمة بالشارع الكبير عساكر أجانب سود،وانقطع «ملك»عن الحى ، فلم يكن يرى إلا نادرا ، وظننا أنه وجد حى آخر يعيش فيه ، وبدأنا ننساه ، وننسى كفاحه فى سبيل مملكته الوهمية ، وابتدأ الجنود السود يشغلون وقتنا شأن كل جديد ، فكنا تتجمع وسط الشارع الكبير فى حلقة كبيرة مرددين فى نغمة واحدة ، تصاحبها تصفيقة من الأيدى الصغيرة متمايلين إلى الأمام ، ثم عائدين إلى الخلف سريعاً قائلين فى صوت واحد « دنجا .. دنجا .. دنجا . نحب العيش والرنجا » ولم نكن نعرف معناها وكل مانعرفه أننا وجدنا أنفسنا نرددها ، ويرددها معنا الكبار فى بعض الأحيان ، وكان الجنود السود يجرون خلفنا حين سماعها — ولا ندرى لم؟ فيجرى كل منا إلى حضن أمه وفى نفسه أمل جديد فى أن يعود مرة أخرى .

وذات مغرب ، والشغيله يشربون الشاى ويتسامرون فى الزربية كعادتهم .. أقبل« ملك »إلى الحارة بعد غيبة طويلة ، وحين بدأ الأصيل يسكب هدوءه على الحارة ، تعالت الصرخات من بيت

الأشباح . وجرى الجميع يستطلعون الأمر فإذا بأحد الجنود الأجانب السود مخموراً يدفع باب البيت بكل قواه يريد اقتحامه ، والفتاة تصرخ « الحقنى ياأبا . الحقنى ياأبا » ومن وسط الجميع جرى «ملك» . . وهو يحمل قطعة كبيرة من «الدبش» ، وقذف بها الجندى الأسود فأسال الدم من رأسه ، وسقط على الأرض كالعجل الذبيح . . ونحن نصفق ونضحك . ووقف «ملك» بيننا يقهقه فى بلاهة ، فخرجت الفتاه وارتمت فى أحضانه ، فترقرقت الدموع فى عينيه ، ووقف يبكى كالأطفال ، وتخلى لأول مرة منذ عرفناه عن سيفه البتار . .

وتدارك الشغيله سريعاً الأمر ، فأخفوه هو والفتاه فى منزل أحدهم . . وجاء بعض الجنود السود يبحثون عن زميلهم . ، فأسرع إليهم أحد الرجال — الذين يعملون فى مخازنهم — وأخبرهم بأنه كان يسير مخموراً . . فاصطدم بالجدار وشجت رأسه . . فاقتنعوا.. وحملوا زميلهم . . وعادوا من حيث أتوا . . .

وفى منتصف الليل ، كان شبحان يخرجان من الزقاق مستترين بجدران المنازل يتعلق أحدهما بالآخر فى حنان . . وأمامهما عربة صغيرة عليها « كراكيب » وبضع حقاق صغيرة . .

وفى الصباح ، عاد بيت الأشباح إلى صمته . . وأغلقت نوافذه من جديد . . ولم يعد «ملك» إلى الحارة مرة أخرى . .

جميلة

يا جميله
الطواغيت العتيه
تحت أقدامك أضحت
كالخفافيش الذليله
يا جميله
كل ثائر
من أمانيه الجميله
نظم الشوق قصيده
لك يا أخت هديه
لك يا صنو جهادى
يا مرادى

من بلادى
ليلة العرس هديه

وعلى حبل وريدى
أعزف اليوم نشيدى
مثل طائر
جاء من أوراس
فى منقاره . .
عنقود ماس
بصر العرس نجوم
وتوهج
من ثقوب الضوء حتى . .
صار قربك .
نثر الماس . .
فصار الماس فى شبه قلاده
ولحسناء الجزائر
قدم العقد هديه . .

يا جميله

أنا لم ينبت بقلبى . . غصن حب لفتاه

أنا لا زلت كسير مغلق عبر الحياه
غير أن القلب يوما قد يحن
فمع الإشراق حن .
لك يا شمس الجزائر
لك يابسمة نصر
عانقت آمال ثائر
يا جميله
إن فى قلبيَ ومضاً من عفافك .
وبعينيك بريقاً من عفافى
من أمانىّ اللطافه
لا تخافى . .
فلأحرار بلادى
ولإخوان جهادى
أبعث الشعر هديه
يا جميله

انتربالجبان

يا حاكم البيت العظيم أجائع
مثلى كذاك وظامىء أو عار

إن كنت مثلى أو كمثل بقية
يتقلبون على أسى مـوار

فاقذف بهاتيك القلادة جانبـاً
ودع السفوح ملاحد الأقمار

أنا إن عصرت الشعر أعلم موقناً
أن فاض كأس الذل عن أشعارى

فإلى متى سأظل يرسف خاطرى
وإلى متى سأظل فى أطمارى

يا آكلى مهلا ودع حريتى
فأنا الذى فض الزمان إسارى

إن كنت تبغى الخير فاترك دارنا
لنا فالديار عفت على أعصار

أو كنت تبغى الملك تلك خيانة
بينى العروبة ياعدو الدار

ستموت يوماً يا سعود كما قضت
جرز الكهوف على شفيف هار

ويصيح فى البوق المنادى أن لنا
وطناً أطاح بصرح الاستعمار

الشر أصل فى النفوس إذا طغت
وإذا سمت صارت رؤى الأدهار

وأرى الشرور كما الجحيم تطايرت
من مقلتيك ومن نهى غدار

جئت البلاد كما السيول فهللت
بعض السيول وراءهن دمارى

قالوا :

ستخضر الفرادس إن مشى
فشى الشحوب بشرين الأزهار

قالوا :

إلى أن قطعت أنفاسهم
وربى الرياض بفادح المضوار

ما ذنبهم ..

قالوا : البلاد لأهلها
لا لن تكون لغادر جبار

أنفاية الماضى البغيض تبرأت
أعمارنا تحت الصقيع الهار

والخير ينزح من بلاد عروبتى
لديار من صلبوا يسوع بدارى

دع لى البلاد فقد سمعت حمائماً
ناحت فقرح شجوها أشفارى

تحية إلى المشاعل

للزميل الشاعر

أحمد محمد سويلم

الأماني . .

اليواقيت التى تشرق فى الغيب

دروبٌ

تجعل الفجر مع الأحلام . .

وحيا . .

وغناء . . .

. . وطيوبْ

الأمانيّ

مشاعل . .

تملأ الأكوان سحراً

ورجاء . .

لا يغيبْ

* * *

يارفيق
شئت أن ألقاك فى كونى . .
رجاء
يشرق البشرى . .
يناغيها
ويستهوى القلوبْ
صار فجرا . .
صار حلما . .
صار وحيا . .
صار قيثارا حبيبْ
يعزف الحب
كما نرضى
وترضى
يسحر الكون . . فينمو الحب فى الدنيا
خصيبْ
فتباه بالمشاعل
يارفيق
فالضياء العذب منها . . يتلهّى بالأمانى
ليس منها بالغريبْ

* * *

كالآخرين ..

انطلق الترام بمجرد أن وطئت قدماى أرض المحطة ، فلم أستطع اللحاق به .. وانطلق معه آخر أمل لى فى أن أجد مواصلة إلى منزلى فى هذا الوقت المتأخر من الليل ... ، ووقفت أنظر حولى فى حيرة .. فليس فى جيوبى سوى قروش معدودة لا تكفى حتى أجرة نصف مواصلة بالتاكسى ..

ولمحت على الطرف المقابل من المحطة شبح امرأة تقف مثلى فى حيرة .. وظننتها من بنات الليل ... ، ولكننى لم أجرؤ حتى على الاقتراب منها ... ، فجيوبى خاوية إلا من قروشى المعدودة .. ومعدتى هى الأخرى خاوية منذ أن ألقيت إليها بساندويتش « فول » فى فترة الظهيرة ..

وظللت أقطع رصيف المحطة جيئة وذهاباً ، إلى أن استقر رأيى على أن أستعمل قدماى هذه المرة ، حتى ولو ذهب هذا بنصف النعل الذى شرف حذائى منذ أمس ، ويممت إلى أول الطريق ، ولكننى سمعت صوتاً خلفى يحادثنى جعلنى أتسمر فى مكانى ، وشدنى الصوت إلى مصدره .. ووجدتها تسألنى عما إذا كان هناك ترام آخر هذه الليلة ؟ .. فأجبتها بالنفى وأنا أتفحص ملامحها على ضوء مصباح الطريق الباهت .. امرأة متوسطة الطول ..

تحمل فى يدها حقيبة صغيرة ، يختلط الأسى بجمال ملامحها ، وحين سألتها عن وجهتها ، أجابتنى بأنها تريد الذهاب إلى حى السيدة زينب . .

وخجلت من نفسى فقد كانت هذه نفس وجهتى . . ولكنى لا أستطيع أن أدعوها لتركب معى تاكسياً بقروشى المعدودة . . ، وقطع على حيرتى وخجلى ، تحركها إلى أول الطريق تتلمسه ، وظهر عليها أنها تود مثلى استعمال قدميها . . فسرت بجوارها صامتاً . .

وخلال الطريق . . كنت أتأملها . . فوجدتها فتاة . . لا يزيد عمرها عن عشرين عاماً . . ممتلئة الجسم قليلا . . جميلة . . يشوب خداها حمرة خفيفة . . وفى عينيها أسى . .

وجاءنى صوتها يشدنى من تأملاتى . .

ـــ الساعة كام دلوقت .. من فضلك . .

فأخبرتها بأن الساعة تقترب من الثانية .

وعند سماعها ذلك .. قلبت شفتيها ، وبان الأسى على وجهها ، وقالت فى جزع :

ـــ ياه . . !!

وحين سألتهـا عن سبب تأثرها إلى هذا الحد . . ، أجابتنى وهى تحاول أن تخفى شيئاً فى داخلها .

ـــ أصل الوقت متأخر قوى . . ومش حاقدر أرجع إلى المنصورة تانى الليلة دى . .

وظللنا نتحدث طوال الطريق .. ومن حديثها علمت أنها قادمة من المنصورة هذه الليلة ، ولكن القطار تعطل فى الطريق فلم يصل إلا فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وتريد الذهاب إلى إحدى قريباتها التى تسكن بالسيدة زينب .

وأنسانا الحديث طول الطريق ، ووصلنا إلى ميدان السيدة زينب . وأمام أحد المنازل ، وقفت تطرق الباب فى حيرة . . ووقفت بعيداً ، وبعد إلحاح فتحت شراعة الباب وأطلت امرأة تسأل .. وهى نصف نائمة .. عن الطارق ؟ فأجابتها بأنها تبحث عن قريبة لها تقطن هذا المنزل ، ولكن السيدة روت وهى تحاول أن تتفحصها :

ـــ ما فيش حد ساكن هنا بالاسم ده . .

ونظرت الفتاة إلى أعلى تتفحص رقم المنزل جيداً .. وتتأكد من أنها هو نفس عنوان قريبتها ، وحين لاحظت السيدة ارتباكها أبدت استعدادها لاستضافتها حتى الصباح ، ولكن الفتاة نظرت إلىّ ثم أجابت وهى مطرقة إلى الأرض وتجر قدميها نحوى ..

ـــ متشكره قوى ، أخويا معايا ، وحنقضى ليلتنا فى أحد اللوكاندات وعادت إلى وفى قلبها حسرة وفى عينيها أسى..، ووجدت

نفسى أعرض عليها أن تبيت فى منزلى هذه الليلة ، ويمكن تدبير الأمر فى الصباح .

وأخرجت مفتاح حجرتى من جيبى ، ووصفت لها منزلى ، فلم يكن بعيداً ، واستدرت إلى الطريق لأعود ثانياً ، ولكنها لحقت بى وأبدت استعدادها للبيت فى منزلى .

وسرنا إلى منزلى صامتين ، وعرجت على إحدى المحلات فابتعت منه جبناً وخبزاً .

وحين صعدنا إلى حجرتى الكائنة بسطح أحد المنازل ، فتحت لها الباب ودعوتها إلى الدخول .. فدخلت وفى عينيها نظرة حائرة .. وتفحصت أثاث الحجرة ، فلم يكن بها سوى سرير ، وكنبة صغيرة وترابيزة مكدسة بالكتب ، وإن كنت أستعملها للطعام أحياناً ، وكرسيين .

ونظرت إلى فى خجل .. نظرة فهمت مغزاها . . فخرجت من حجرتى وأنا أشد الباب خلفى .

وبعد أن فرغت من خلع ملابسها وإبدالها بملابس النوم ، خرجت فى قميص نوم وردى جميل ، يظهر كثيراً من ملامح جمالها . وانتظرت على السطح ريثما خلعت ملابسى ، ولبست « بيجامتى » ، ثم دعوتها للدخول ، وأنزلت أكداس الكتب ، ووضعت

مكانها الخبز وورقة الجبنة ، وجلسنا نتناول الطعام .

أثناء الطعام بدأت تأنس لى بعد أن ذهب عنها بعض خجلها وحيرتها ، واعترت وجهها بسمة خفيفة تغازله . وقصت على قصتها وبقية من أسى تظهر فى عينيها . .

ـ أنا ما كنتش متصورة إن أنا حارجع المنصورة تانى . فأنا غادرتها الليلة من أجل زوجى وقسوته ، فهو وإن كان من كبار المزارعين ولكنه يقسو على كثيراً ، وقد أقسم هذه الليلة أن يتزوج مرة أخرى ، فخرجت من بيته وقد قررت ألا أعود إليه مرة ثانية .

وقالت والعبرات تكاد تخنقها . .

ـ لكن مش حارجع له تانى . . حتى ولو اضطررت إلى أن أعمل خادمة فى أحد المنازل .

فربت على يديها ، وأخبرتها بأن تعتبرنى أخاً لها . وتمكث معى ريثما نتدبر الأمر . .

وبعد أن فرغنا من الطعام ، نظرت إلى فى حيرة كأنها تسألنى عن تصرفى معها . . فابتسمت لها وأنا أدير لها ظهرى ، وخرجت من الحجرة ، وأغلقت عليها الباب بالمفتاح من الخارج ثم ألقيته لها من تحت الباب . . وفرشت حصيرة صغيرة ونمت على السطح حتى الصباح .

وحين استيقظت فى الصباح ، وجدت « ناهد » ـ وهذا اسمها ـ قد استيقظت قبلى .. فألقيت إليها بتحية الصباح ، ثم غسلت وجهى وارتديت ملابسى ، وشربت كوباً من الشاى كانت قد أعدته لى .. وذهبت إلى عملى ـ لأول مرة منذ التحاقى به ـ بقلب منشرح .

وعندما عدت فى المساء ، وجدتها تنتظرنى ببسمة مشرقة ، ووجدت حجرتى ـ على غير عهدى بها ـ منظمة ـ وكل شىء فيها مرتباً ونظيفاً .

وكنت قد استدنت من أحد زملائى فى العمل نقوداً ، اشتريت بها لحماً وخضاراً ، فأعطيته لها ، وذهبنا إلى المطبخ نعد سوياً طعام العشاء .

وبعد العشاء جلسنا نتابع قصص حياتنا ، وازدادت الألفة بيننا فمضى الوقت سريعاً ونحن لا نكاد نحس به ، حتى داعب النعاس جفنيها فقمت أسحب حصيرتى متجهاً إلى السطح ، ولكنها سحبتها من يدى وقالت هى تنظر إلى الأرض ..

— الدنيا برد الليلة ، وماتنامش على السطح أحسن تبرد .. نام أنت الليلة على السرير ، وحانام أنا على الكنبة .

وإزاء إصرارها ، تنازلت لها ، على أن أنام على الكنبة ، وتنام هى على السرير ..

وطال سهرى فى هذه الليلة ، وظللت أتقلب فى فراشى ،

وتسرب ضوء القمر إلى الحجرة من خلال ثقوب نافذتى ، ومن خلال ضوئه الشاحب رأيت « ناهد » .

كانت مستلقية على سريرى فى قميصها الوردى الشفاف ، وقد تهدل شعرها فغمر جبينها ، وتهدج نهداها الفائران كأنهما حبيسان ينشدان الثورة . .

وسرت فى جسدى رعشة محمومة ، اصطكت معها أسنانى ، وظهر فى صوتى ما يدل على أنى أنشد الدفء ، فأحست بى ناهد .. وقالت وهى نصف مستلقية ، وقد زاد نهداها الثائران بروزاً . .

ـ مالك يا أستاذ محسن . .

فرددت عليها وأنا أتصنع القوة :

ـ مافيش حاجة . . الظاهر شوية برد من تأثير امبارح .

فبان الجزع على وجهها ، وأقبلت على مسرعة تتحسس جبينى ، وأحضرت لى كوباً من عصير الليمون ، ثم جلست بجوارى تحتضن رأسى فى صدرها بحنان ، فأحسست سخونة ملمسها ، وزادت رغبتى المحمومة ، فأمسكت يدها أقبلها فى وجد .. وتسربت يدى الأخرى إلى شعرها تداعبه وأدنيت شفتى من شفتيها . . ، فازدادت اقتراباً منى . . ثم غبنا فى قبلة طويلة . .

ولم أقو على مقاومة فتنتها ، ولم تحاول هى مقاومتى .

. . . .

وفى الصباح . . قامت ناهد تعدل من وضع شعرها ، وتنظر إلى نظرة خجلى .

* * *

عشت مع ناهد أسعد أيام عمرى طوال شهرين ، لم تفكر فيهما ألا تعود إلى بيتها وزوجها ، ولم أفكر أنا فى أن أقضى سهرة الخميس كما كنت أقضيها من قبل .

وذات يوم عدت من عملى ووجدتها قلقة حائرة ، وحين سألتها عما بها . . ؟ أجابتنى بعينين مغرورقتين بالدموع وهى تنظر مطرقة إلى الأرض .

— فيه شخص ثالث عاوز يملأ حياتنا ، وقد أصبح أماً فى خلال الشهور القادمة .

ومن خلال كلماتها المخنوقة بالعبارات، أفهمتنى أنه يجب التخلص من « الحمل » بأى ثمن ، فهى مازال اسمها يقترن باسم رجل آخر .

وإزاء إصرارها وتقديرى لخطورة الأمر ، أخذتها إلى عيادة أحد الأطباء أصدقائى، وعرضت عليه الأمر، فوافق على إجراء عملية الاجهاض ، بشرط أن تمكث فى المستشفى أسبوعين ، ووافقنا أمام الأمر الواقع ، وكلانا لايتوقع أنه سيستطيع أن يفترق عن صاحبه .

وطوال مدة وجودها بالمستشفى ، ظللت أتردد عليها كل يوم حتى تمت العملية بنجاح ، وتم لها الشفاء .

ويوم خروجها من المستشفى ، عادت معى إلى منزلى والفرح يملأ جوانبها ، والابتسامة لا تفارق شفتيها .

وفى مساء اليوم التالى ، عدت من عملى وأنا أتوقع أن أجدها فى انتظارى كعادتها قبل دخول المستشفى ، ولكننى وجدت الباب موصداً ، ومفتاح حجرتى على مصراع النافذة ، ففتحت الباب بقلب منقبض ، وأخذت أبحث عنها فى أرجاء المنزل فلم أعثر لها على أثر ، كما لم أعثر على حقيبة ثيابها ، ووجدت على « الترابيزة » رسالة مقتضبة .

— لقد ظننتك أننى وجدت رجلا .. ولكننى وجدتك كالآخرين .. !

وجلست على المكتبة منهكا أحاول تفسير هذه الحوادث ، فلم أجد لها تفسيراً ، حتى حانت منى التفاتة إلى كومة ملابس ، وقد علقت بها قطعة من ثياب امرأة بطريقة تدل على التفكير ، وتذكرت أن إحدى قريبتى نسيتها مع كومة ملابس بعد أن غسلتها لى أثناء وجود « ناهد » بالمستشفى .

فابتسمت لنفسى فى سخرية ، وخرجت أبحث عنها ، ولكننى لم أجدها فى أى مكان ، وحين أعيانى البحث ، عدت إلى بيتى أنتظر أن أسمع طرقات خفيفة على باب حجرتى وتعود « ناهد » مرة ثانية ، فأخبرها أننى لست كالآخرين ..

بلادی

يا بلادی
إنما أنت كشمعه
تعصرين المجد دمعه
لتضيئين ظلامی
لتبلين أوامی
لتطيرين بروحی . . عبر أعشاش اليمام
لتدفنين بقلبی . . فی فراديس السلام

. . .

يابلادی .
إنه يهواك قلبی
رغم أنی
حائر فی كل درب
انقش . الآمال . .
فی الرمضاء كی أنبت زهرا
أنفث الأشعار . .
فی الأسحار كی أحدث أمرا

يابلادى .
برعمى صادٍ إلى ماء الحياة
فابعثيه . .
عبر شريان النسائم
فى عمامات الغمائم

ياينابيع وجودى
آن أن يزهر عودى
فلتجودى . .
لى بنظره
أنت فى الفردوس زهره
أنت فوق السحب غنوه
أنت حره . .
يا بلاد الشرفاء
يامهاد الأنبياء
منك شق الله عيسى ومحمد .
يابلادى .

غدلنا

فلتبتسمى

ولتهزئى بالنائبات

الحادثات

لاتركنى للحادثات

رغم الحظوظ التاعسات

ولتودعى

مهج الثرى

أشلاء تلك الذكريات

ولتبعثى

لحن المنى .

حسناء . . عبر الكائنات

فغد لنا . .

للغارسين الورد فى الأرض الموات .

* * *

الشمس تشرق من فلول الليل ..،
تشرق من هناك .
عملاقة . .
فى عنفوان البعث تبزغ من هناك
لتقود . . .
موكبنا الكبير
حسناء ، لا .
لا تقنطى ..
ودعى قوافلنا .. تسير .
بخطى الثبات . .
وخطى اليقين ..
وخطى الرجال الكادحين
الوائدين رؤى الكلال ..
العاصرين دم المحال ..
الباذرين ..
هوى القلوب ..
عبر الدروب . .

* * *

يافتنتي

فلتبتسمي

رغم الحظوط التاعسات

ولتودعي ..

مهج الثرى ..

أشلاء تلك الذكريات

فعد لنا

للنافخين الروح في ميت النبات .

أقدار ..!

وقف ينظر إلى الطريق . . لأول مرة منذ خمس سنوات . . بعينين يشع منهما اليأس والرجاء . . اليأس من صحيفة سوابقه السوداء . . والرجاء فى أن يجد عملا شريفاً يتعيش منه بعيداً عن ماضيه العفن . . .

ونظر خلفه مشيعاً جدران السجن ، مشفقاً على مستقبله الغامض من ماضيه المظلم ، متذكراً حاضره وما آلت إليه حياته ...

وسار يتحسس طريقه بين أفواج الناس التى تتسرب من الميدان ككتائب النمل ولكن بلا نظام . . كل غارق فى دوامة مشاكله عن مشاكل الآخر . . وكأنما أبت عليهم الحياة إلا أن يعيشوا فى جوفها لتطحنهم أضراسها . . ثم تقذف منهم . . العدم.. بلا مبالاة ..

أخذ محمود يعبر الميدان ميمماً وجهه شطر الناحية المقابلة من الطريق . . ودوامة ترف فى داخله . . إلى أين سيتجه ؟ وأى باب سيطرق ؟ وهل حقاً سيجد ما يطمع فيه من حياة شريفة ؟ . . .

وصعد إلى الرصيف . . وإلى ذكريات الرصيف . . فطالما

رقد عليه الليالى الطوال أيام أن كان متنداً له ولعصابته . . وكثيراً ما سمع فيه هذا الصوت الخشن « قم يا بن الـ . . شوف لك حته تانيه أتاوى فيها . . أنا عارف انتم جايين منين . .

ومع وقع خطواته على الرصيف عاش حياته . . فقد شب ليجد نفسه يعيش مع رجل أشيب يدعى المعلم حسنين يتعيش من صدقات المتصدقين ، علاوة على بيع الحلوى للأطفال . . وكان محمود لا يعلم له أهلا غيره . .

وتعهده الرجل بالتربية . . وكان امله أن يكبر الصغير . . ويتعلم « صنعة » يعيشان منها سوياً ويبنى منها الصغير مستقبله ؛ وشاءت الأيام أن تقذف بأحلام العجوز .. فدهمه الموت .. وسار محمود فى جنازته لا يعلم إلى أين يسيرون . . حتى واروا الرجل التراب وجلس رجال بجانب القبر يميلون يمنة ويسرة مرددين فى نفس واحد كلمات منغمة لا يعلم منها حرفاً واحداً ، وقام رجل على القبر يتلو كلاماً سمع منه محمود كلمات .. «الملكين والحساب..» ووقف آخر على القبر يرش الأرض بالماء حتى ارتوت وفاضت ..! وجلست بعيداً نساء متشحات بالسواد . . يولولن ويبكين .. وفى كل لحظة كان رجل ينادى بصوت خشن « وحدوه » . . فيرد الجميع وهم مطرقين إلى الأرض . . « لا إله إلا الله » واستمر هذا المنظر أمام عينيه الصغيرتين إلى أن انتهى المتمايلون من تمايلهم

والرجل القائم من كلماته . . . ونفذت قربة الساقى . . وجفت ما فى النسوة . . فقام أحد الرجال . . وتبعه آخرون وتلاحقت الأيدى المتصافحة فى طابور طويل . . انصرف بعده الناس، ومحمود لايدرى من أمره شيئاً . . وخرج إلى الشارع بقدمين هزيلتين . . تدور فى رأسه حوادث اليوم حتى أتى الليل ، ، فعاد إلى منزل المعلم حسنين ، ولكنهم أخبروه بأنه لن يعود . . فترك المنزل حزيناً لا يدرى لم لن يعود المعلم حسنين ؟ . . . وإلى أين ذهب؟ وإلى أين هو سيسير . . . . ؟

وفى الطريق . . قابله « على » صبى البقال . . وسأله عما به : فأخبره أن المعلم حسنين ذهب ولن يعود . . .

فقال له : — كيف ؟

رد ونظراته تزيغ فى لاشىء ...

— لقد خرج على أكتاف الناس فى الصباح ملتفاً بالدمور . . وصلى بالجامع والناس خلفه . . وهو نائم . . ثم وضعه الناس . . وهو مازال فى نومه . . داخل حفرة . . وأهالوا عليه التراب .

فقال له على : وهو يضحك ضحكة صفراء . .

— ولا تزعل ياشيخ . . ما أنا أبويا برضه . . كانوا عملوا فيه كده . . وما رجعش تانى . .

ثم قال والضحكة الصفراء تزداد اتساعا . . واصفراراً . .

ــ تعال معي . .

وسحب محمود من يده . .

* * *

سار علي وخلفه محمود . . حتى وصلا إلى ميدان السيدة زينب وبجوار المسجد أجلسه علي وقال :

إنتظر حتى أحضر لقمة نأ كلها . .

وغاب علي قليلا : ثم عاد مصفر الوجه . . قائلا بصوت مرتعش .

ــ إهرب قوام . . إهرب . ثم اختفى بعيداً والحسرة والقلق علآن رأس محمود :

وجاء رجل يلبس بدلة سوداء بها أزرار صفراء . . ذو سحنة ينبعث منها الغضب . . وأمسك محمود من كتفه . .

ــ تعال ياابن الـ . . انت واقف كده ليه . ، أنا حاوديك فى داهية .

وأخذه إلى القسم حيث وجد رجالا كثيرين يلبسون ملابس سوداء كبدلة هذا الرجل ، وكتبوا فى أوراق أمامهم ثم أبصموه

على هذا الورق وهو يرتجف ، وألقوه ليبيت ليلته . . محتضناً جدران التخشيبة إلى أن أخذوه فى الصباح إلى رجل آخر . . أخذ يسأله بعض الأسئلة ، ثم كتب فى ورق أمامه وأمر بإيداعه إصلاحية الأحداث . .

* * *

عاش محمود فى مأواه الجديد بعض عمره . . وتعلم الكثير من أساليب النشل والغدر والزوغان ، وذات يوم هرب هو ومجموعة من الصبيان ، فاصطادتهم إحدى عصابات النشل ، فكان ينشل ما تصل إليه يده ويهرب ، فإذا ما اجتمعت — العصابة جمعوا ما نشلوه وسلموه إلى رئيسهم نظير الأكل والنوم وقروش معدودة . . والويل كل الويل لمن يأتى خاوى الوفاض .

وسارت حياته بعد ذلك على هذا المنوال ، وفى يوم أراد أن ينشل حافظة أحد ركاب الترام ، فشعر به الرجل وأمسك بيده ، والتف الناس حوله . . كل يشبعه سباً ولكما حتى جاء عسكرى البوليس وقاده إلى القسم وفعلوا معه مثل مافعلوا أول مرة ، ولكنهم أخذوه إلى المحكمة حيث صدر عليه الحكم بالحبس سنة . . .

وهكذا عاش محمود . . يخرج من السجن ليعود إليه . . وفى

كل مرة يتعلم أحدث فنون النشل والبلطجة . . وكان لقوته . . وسرعته . . يسمى « بملك النشل » .

وفى يوم ، ولم يكن قد مضى على خروجه من السجن أكثر من أسبوع ، اختلف مع أحد أفراد العصابة على الغنيمة ، فتماسكا فما كان من محمود إلا أن أخرج مطواة وطعنها غريمه ، وقبضوا عليه بتهمة الشروع فى القتل وساقوه إلى السجن ليقضى فيه خمس سنوات ، وها هو قد خرج إلى الطريق مرة أخرى بعد أن هدته الجريمة ، واستقر عزمه على التوبة .

* * *

وسار محمود حتى تعبت قدماه اللتان أذبلتهما ضراوة القيد . . وكانت الشمس قد مالت نحو الأصيل تؤذن بانتهاء يوم مضى ، وترقب ليلا جديداً . . فجلس معتمداً رأسه على راحة يده . . . أمام كومة من القاذورات تسربت من صندوق البلدية . التفت حولها الكلاب باحثة منقبة عن رزقها . . وكان الجوع قد بلغ منه مبلغه . . فانحنى على الكومة يلتمس فيها بعض الفتات . . ولكن الكلاب أبت عليه ذلك . . فثارت عليه . . ونبحت فيه ، فأقبل على ضجيجها أحد عمال البلدية المعينين للعمل على تلك الصناديق ،

وأمسك بتلابيبه وسلمه إلى عسكرى البوليس حيث أخذه إلى القسم ، وحرر له محضراً ، وساقوه إلى السجن . . بتهمة محاولة الاستيلاء على مهمات أميرية ، ولأول مرة فى حياته . . بكى . . وعلا نحيبه .. فقد أبت الأقدار أن تقبل منه توبته .. وسيق إلى السجن . . لأول مرة . . بتهمة هو منها براء . .

* * *



لست عبدا

. . . .

وعليّ

وعلى الناس بصقت

وتجاهلت وجودي

رغم أني ..

في ملفي ..

بين كفي ..

ذاك مستخرج رسمي .

كالذي . .

تفخر به ..

كالذي . .

تشمخ به ..

كأننى . . أعلاك فوق الفرقدين .

* * *

أنا إنسان . .
كما أنت بشر . .
غير أنى
أحمل التاريخ فى جوفى عبر .
أرفع الكف ، .
إباء . . وضياء . . لأخى .
فى طريق البعث ، . كى نخلق شيا .
فى دروب المجد . . كى نمضى سويا .

* * *

فأخى . .
إن ضمه قلبى
ينير إلىّ فى الظلماء دربى
دون ريب .
و إذا ما بعته . .
قد صرت للأحقاد مُشْربى
دون ريب صرت للأضغان مشربى
و وأدت الأمنيات
فى قبور الليل . .
لا تبصق علىّ
فى انبثاق الفجر . . لا تبصق علىّ .

فبقلبي . .
أمنيات . .
راودت أهلي قديما .
راودت نفسي . .
بأن أحيا أبيا . .
ونقيا .

... ...

لست عبدا . .
أعصر الكرم لقيصر .
قد طوى التاريخ عصر القيصريه .
وعلى أنقاضها . .
قام الرجال .
يغرسون الورد في صم الجبال
ينزعون المجد من كهف الليال
فطريق . .
ذا طريق البشريه . .
عبّدته . .
منذ آباد بعيده .
شذّبته . .
وهي في الأحراش كي تأمن شرا
مهدّته . .

وهى فى الأغوار كى تبلغ أمرا

* * *

لا فلا تبصق علىَّ

لا ولا تجهل وجودى .

لا ولا تمسخ كراماتى الأبيه .

فأنا اليوم كما أنت بشر .

أحمل الأيام فى جوفى عبر

أحمل الأيام عزاً وإباء . .

كبرياء .

لا فلا تبصق علىّ

لا ولا تجهل وجودى

لا ولا تمسخ كراماتى الأبيه

فأنا اليوم . .

كما أنت بشر .

مصاص الدماء

لإمام اليمن الجائر
نهدى هذه القصيده .

يا بقايا أخطبوط
يا خيوط العنكبوت
إننى اليوم أموت
ثم لا درع لأهلى
لا ولا مصباح غيزى
يفرش البيت ضياء
يغمر الدرب رواء
لمَ لا يشقيك دفنى
فى سياج الترهات
لمَ لا يشجيك سحقى
فى شعاب مهلكات

* * *

إننى . . .
أهواك . يا هذا كريماً.
ورؤوما مثل أبى الطيبه
فكلانا . .
كان عبد القيصريه .
يخفض الرأس الأبيه .
يكرع العمر . .
هواناً ومذله . .

* * *

هل نسيت القيصريه ؟
أنسيت الليل . .
لما كان يفرى الآدميه ؟
بسياط . .
كأفاعى وثنيه .
كثعابين عتيه .
عضها . .
لا زال فى ظهرك باق
كحريق النار فى جوف الوجاق.
كشرايين المحاق . .
لونها لا زال باق .
فى ظهور يعربيه . .

أترك الشعب ليحيا
كيف يحيا ..
وهو مشدود الوثاق ..؟؟
كاظم الغيظ يساق .
لاهث الخطو يساق .
لبساتيل النفاق ..
أيها الأموات ..
هبوا ..
من كهوف اللاقرار ..
هشموا الطاغوت مصاص الدماء
بزجاج الكبرياء ..
هشمو الطاغوت مصاص الدماء
من كهوف اللاقرار ..
أيها الثوار . ثوروا .. من كهوف اللاقرار
فشموس البعث ...
دبت ..
فى شرايين النهار ..

يا مقيب

أنت يانحس الوجود
أنت يانقطة حبرشوهت سِفْر الجدود
ظلموك . . .
حينما قالوا سعود . .
ليتهم قد أنصفوك . !!
ورموك
فى البرارى
للضوارى
بعض قوت
يا سهاد .
حلَّ فى أجفان إخوان المصير

يا صغير
ياضرير القلب ياعبد الغرور
يا براكين الشرور
يا نفايات الدهور ..
شعبك الواله أفعى .. فى سراديب الخفوت
أترك الشعب ليحيا ..
كيف تحيا أنت والشعب يموت .؟؟
يا خيوط العنكبوت
أترك الشعب ليحيا . ياخيوط العنكبوت

* * *

أنت يا مسمار فى نعل الحذاء
دائما تعتاق زحف الأبرياء
فانسحق
فى مخاضات الوحول ..
يا ذليل
فالرعيل
باسم الآمال ماض للامام
يعزف الألحان فى حقل السلام
رغم أنفك يا غلام
رغم أنفك يا صغير
يا حقير النفس يا عبد الغرور ..

انتظار

— شيش بك . . برافو يازهر . . كده اللعب والا بلاش ..

— ولو برضه . . هو المادس بتاع كل يوم . . ياحمد بيه .

وصفق محمد « بك » « القشاط » بشدة .. وهو يقهقه

— ياسلام ياعلى « بك » على زمان وأيام زمان .

فرد عليه على « بك » وهو يتحسس بضع شعرات استقرت فى رأسه وكادت لاتبين مع بياض جبهته .

— آه . . والله زمان ياحمد « بك » . . . فين أيام الشباب والشقاوة . . والجرى والنط . . أيام ما كنا شعلة نشاط . . شغلة عمل . . مكاتب . . ورؤساء ومرؤوسين . .

وحركت هذه الكلمات قلب « محمد » بك ، فظهر الأسى على وجهه . .

ووقف الأسطى عبده « الجرسون » يرقب المعركة . . وكأنه فارس يحرك قطع الشطرنج على لوحة أمامه .

— اتفضلوا هنا يا محمد « بك » . . انت وعلى « بك » . . . الشمس قربت ناحيتكم . .

وجرى مسرعا إلى حيث « البهوات » وحمل الكراسى . . .

والترابيزة . . والطاولة مفتوحة حتى لا تختلط « قواشيطها » . . فلابد أن تظل هكذا حتى تنتهى « العشرة » . . ولا أحد يدرى متى !!؟

ومع أن كلا منهما قد قنع من حياته بهذه الجلسة اليومية ، بعد أن أحيل إلى المعاش ، إلا نه يحسب أيامه الباقية على زهر الطاولة ولا يدرى متى تنتهى ! ؟ . . فربما يأتى « الزهر » بلعبة فى خانة « البيش » مصحوبة بأنفلونزا بسيطة تفتت عظمه الهش . . وربما ينقلب الزهر إلى خانة « اليك » . . وذبحة صدرية أو ارتفاع فى ضغط الدم . . والشاطر يفك النحس . . ويهرب من مارس مضمون . . ومن يدرى فلعل العشرة تنتهى وتنصفق حياته كضلفتى الطاولة وتنقص عدد شيكات المعاشات واحد .

الله . . الله إيه يابهوات . . فاتحين الطاولة قدامكم وسار حين كده ليه . .

وعجل كل منهما بالنظر

- أهلا حسن افندى . . ازيك يارجل .. إيه .. عملت إيه . .؟

- والله ولا حاجه . . مسألة استبدال معاش بسيطه . . .

وجلس الأستاذ حسن . . مدير إدارة المحفوظات بوزارة المالية فى مجتمع البكوات . . المجتمع الذى لا تجد فيه مكاناً لشعرة سوداء . . اللهم إلا أن تكون قد لعبت بها يد صاحبها

ليدنى منه امرأة من المختالات جيئة وذهاباً أمام هذا الركن المفضل من قهوة الشمس . .

إن هذا الركن لا يجلس فيه إلا من حصل على لقب « بك » بالأقدمية ، ووضعت الدولة اسمه فى قائمة المنتظرين . . انهم فى نظر الدولة نفاية عمل . . موظفون من منازلهم لا تريد الدولة من كل منهم إلا أن يذهب أول كل شهر إلى « شباك » صرف المعاشات الحكومية . . . ويأخذ دوره فى الصف . . بالأقدمية أيضاً . . أقدمية الوصول . . لتعطيه ثمن كرسى . . وفنجان قهوة . . وورقة يانصيب يومية فى قهوة الشمس . .

— من يعلم يامحمد « بك » . . يمكن تكسب البريمو . .

فرد محمد « بك » وهو ينقد البنت العجفاء الماثلة أمامه قرشاً . .
على الله ياعلى « بك » . . . نحن فى الانتظار . .

ونظر إليهما الأستاذ حسن بطرف عينه . .

الانتظار . . الانتظار . . ما هو هذا الانتظار . . !؟ إن حياتهم كلها انتظار . . انتظار أول الشهر . . وانتظار أى امرأة تمر أمامهم . . لتبحلق فيها كل العيون . . حتى العيون التى أصبحت كحبتى « أم الخلول » تنتظر من يلقيها فارغة . . تنظر إلى الساقين وما فوقهما باشتهاء . .

بصقة على مجتمعكم هذا . . انه يأخذ من الإنسان عصارة شبابه . . ثمار جهده . . ثمار ستين عاماً . . ثم يتركه . . كعقب سيجارة . . ينتظر من يلتقطه ليودعه صندوق صغير . . حقيقة قد تستحيل الأعقاب إلى سيجارة كاملة . . ولكنها على كل حال نفاية . . وستلقى ثانياً . . نفاية . . !!!!

وقام الأستاذ حسن عائداً إلى بيته وفى داخله شيء جديد . .

ولكنه لم يكن كما ألفه أهل بيته طوال الأيام الماضية . . لقد عاد اليوم مهموماً . . وكأنه يحمل هموم الدنيا فوق رأسه . . .

حقيقة أنه لم يحال إلى المعاش بعد . . ولكنه ينتظر . فأمامه شهرين وتضعه الدولة فى قائمة المنتظرين . . ويقف فى طابور صرف شيكات المعاشات الحكومية . .

ولكن الأستاذ حسن ليس كالآخرين . .

— لا . . لن انتظر . . سأفعل أى شيء . . ولن تقف يدى عن العمل . . لتذهب الحكومة ومعاشها إلى الجحيم . . إلا أنا . . لن أنتظر . .

وأفاق الأستاذ حسن على صوت ألفه طوال أربعين عاماً . .

— وكسوة الصيف ياسى حسن . .

أف لهذا الصوت . كسوة الصيف . . مالها كسوة الصيف . .
ومالى أنا . .

ـ إيه . . بتقول إيه . . مالك انت . . ومال كسوة الصيف ؟!
أمال كنت بتستبدل جزء المعاش علشان إيه . . ؟ ؟

آه . . حقيقة . . لم كان الاستبدال إذن . . !!؟

ـ خلاص ياستى . . حا استلم الشيك باكر . . وبإذن الله
نجيب كسوة الصيف .

وما أن فرغ الأستاذ حسن من هذه الكلمات حتى وجد أمامه
تشكيلة رائعة . . أبناءه جميعاً . . محمد الطالب بكلية التجارة وناهد
الطالبة بكلية الآداب . . وفؤاد ومرسى اللذين ما زالا بالمرحلة
الإعدادية .

وجلس الأستاذ حسن . . وحوله أولاده . . وأمامه ورقة
وقلم ليكتب رغبة كل منهم فى كسوة الصيف . .

* * *

ظل الأستاذ حسن طوال الأيام الباقية له فى خدمة الدولة ينهى
أوراقه . . إخلاء طرف . . وإقرارات ذمة . . واستمارات لقيد
أسماء المستحقين للمعاش ، وكلمات من هنا ومن هناك . . ووالله
حتوحشنا ياحسن بك . . وتحيات . . ووداع . . إلى آخر هذه
الأمور . . وكأنهم يشيعونه إلى مقره الأخير . . !

ما هـذا . . هل ظن هؤلاء المغفلون أن حياته انتهت عند هذا الحد . .

ــ لا . . فما زال أمامى الـكثير . . حقيقة أن الشـعيرات البيضاء أحالت رأسى إلى قطعة من الثلج . . وحقيقة أنى بدأت أحس بتعب لمجرد أى مجهود بسيط . . لـكن مازالت فى حياتى بقية . . اننى أستطيع أن أعمل على الأقل خمس سنوات . !!

وهـكذا ظل الأستاذ حسن . . أو حسن « بك » مستقبلا . . ينهى فى إجراءات نهاية خدمته . .

وفى البيت . . وطد نفسه . . على أنه قائده ومسيره . . ولم لا ؟ إنه سيمكث فى البيت أربع وعشرون ساعة كل يوم . . فيجب أن يأخذ لنفسه مكاناً . . ولن يكون كالآخرين . . لا قهوة ولا دياولو .

وبدأ التجربة الجديدة مع بداية الخريف . .

وذات يوم . . ومع تسلل شمس الخريف إلى جو الغرفة . . استيقظ حسن « بك » . . وأحس بحرارة خانقة تتسرب إلى نفسه مع شمس الخريف الصفراء . . . وقام حسن « بك » من سريره ليبدأ يومه الأول . . وخرج من حجرته يتابع معركة الحياة فى مملـكته الجديدة . . ووقع نظره عبر نافذة المطبخ على البنت فتحية الخدامة . . وهى تتلصص على الجيران تتسمع أخبارهم . . وأحس أن الأمر يستدعى بعض الشهامة . . فنظر إلى « فتحية » بنظرة غاضبة . . وصرخ فيها بلهجة آمرة . .

— إيه يا بنت ده .. امشي انجري .. شوفي ستك عاوزه إيه..

وأشاحت عنه البنت .. وهي تلقي إليه نظرة غريبة .. فهي لم تكن تألف مثل هذا الأمر .

وعلى مائدة الإفطار .. أعلن حسن « بك » .. أنه سيقوم اليوم بتغيير مواضع الأثاث في البيت ، وفعلا ما إن فرغوا من تناول الإفطار حتى قام بهمة ونشاط ..

— لنبدأ أولا بحجرة النوم ..

وردت الست أنجي هانم ..

— لأ .. الصالون أولا ..

— يا ستي النوم ..

— لأ الصالون ..

وتشيع الأولاد لأمهم .. فرضخ حسن « بك » للأمر على مضض .. وسار صوب حجرة الصالون وخلفه ضحكات مكتومة توشك أن تنفجر ..

وهكذا ظل حسن « بك » .. يلقي بأوامره التي كانت تقابل بالمعارضة دائماً من زوجته وأولاده .. ، وأحس بأنه قد يفقد المعركة .. وأنه يكفي هذا المجهود اليوم .. فما زالت الأيام قادمة .. ويجب أن يملأ فراغها .. ومع ارتفاع صوت أنفاسه .. وتصبب العرق منه .. خلع الروب .. ونظر في ساعته ، فوجدها تقترب

من الثانية . . الموعد الذى ألفه طوال أربعين عاما . .

وجلس حسن « بك » على أقرب كرسى إليه . . وبدأ يتفقد من حوله ، فلم يجد إلا نظرات شقية تتسرب إليه من الصغيرين فؤاد ومرسى . .

وبعد أن استعاد أنفاسه . . قام يدور فى أنحاء البيت يتلمس مجهود اليوم . . وخلال أحد الأبواب اختلس النظر ، فحانت منه التفاتة إلى شاب يقف فى النافذة المقابلة .. يرسل أشارات ماجنة .. ووجد ابنته ناهد تدارى ارتباكها فى كتاب أمامها . . فأسرع إلى النافذة يشد مصراعيها .. ونظراته الحانقة لا تتحول عن ناهد .. ، وخرج يزفر زفرات حارة . . ليجد ابنه « محمد » فى الحجرة المجاورة يختلس بضعة أنفاس من سيجارة أخفاها خلف ظهره حينما أحس بدخول والده . . وعلى باب المسكن كانت تقف الست أنجى هانم تنقل إلى إحدى الجارات آخر أخبار وكالة البنت فتحية « رويتر » .

وأرسل النظر فى الحجرات التى شاهدت نشاط اليوم .. فراعه أن وجد كل شىء كما هو لم يتغير . . ألا هو . . فأسرع إلى حجرته وارتدى ملابسه على عجل . . ، وخرج إلى الطريق مسرعا . . وزوجه وأولاده لا يدرون من أمره شيئا . .

وأمام قهوة الشمس . . نادى بأعلى صوته . .

هات لى طاولة . . وقهوة يا عبده . . ! !

* * *

مصابيح الأفول

إيه ..
يا حسن الختام
قالها جدّى و نام
تحت سقف الليل .. والليلُ كغول
يلفظ الأنفاس .. من صدر خمول
صدر جدّى .. ذلك الواهى الكسول
يحسب الأنفاس ..
فى ضعف خجول.

* * *

إيه ..
يا حسن الختام

يا بساتين الأفول
يا قصوراً فى الرغام
صار جدى كالغلام
منذ عام . .
يذرف الدمع سجاما
دونما أسباب تذكر
يفرش البيت ابتساما
دونما أسباب تذكر

* * *

إيه ياحسن الختام
لم تعد إلا بقايا
فى مصابيح الأفول

الدخان

وصدور الناس ضاقت من ملاقاة الهوان .
ومصابيح الجنان . .
ضيع الليل عليها . . كل أسباب الأمان .
وزمان العنفوان . .
لم يعد إلا بقايا . . من رفات السنديان .
أنت يا إنسان حر . . !! لست حراً أنت عان .
أنت عان ألف عان .
أنت قيثار سيفنى . . فى سراديب الدخان .
أنت عبد للزمان .
جرفتك الريح قسراً شطر باب اللا مكان .
بالطعن المندوان .

* * *

أى نفع فى دخان . .
يملأ الأنف زكاما .
يترك الناس عجافا ونحافا وسقاما .
ياظلاما . .
حل فى أرجاء أهلى . . ذات ليل وأقاما .
إن من رامك . .
راما . .
لأمانينا الحماما .
أنت لا تنفث إلا . . فى صدور الناس سلا . . ،
وزؤاما .

* * *

إطفئوا الفرن .
فما بالفرن تبنى المكرمات
ياموات .
إرجعوا الشيب شبابا لعهود الذكريات
قبلما ينهار صرح . .
قام فى الأرض الموات
قبلما . .
نضرب كف الندم
قبلما . .
تمضى كإنسان عمى

فى ثنايا النزهات
فى متاهات الحياة

* * *

اشعلوا المصباح
فالأفراح . .
للناس جميعاً .
واتركوا الشعب صحيحاً لاصريعا .
وافرشوا الدرب شموعا . .
وزهوراً وربيعا .
لوليدى . .
قبلما . .
يهوى الدموعا .
واملأوا الأقداح ترياقا إلى الناس جميعا
فبغير الناس . .
يخبو الشمعدان .

غداً سلام

أقم المصانع كالقلاع

ودع المدامع للضياع

يا صاحبي..

دع ما ذرفت تمصه شفة الضياع

وابسم

فما في الدمع إلا حسرة ورؤى التباع

أودت

بأحلام المنى الهيفاء في سود التلاع

أطفت

سراج القلب والظلماء تطفح بالخداع

يا صاحبي

أطفت من العين الشعاع

قم نبتنى قمم العلا وانشر مع الفجر
الشراع
واخز عباب المستحيل بفكر انسان
شجاع
عشق الحقيقة . . ،
فانبرى . . للنجم راوده ارتفاع

. .   . .   . .

أقم . المصانع كالقلاع
ودع النوائب للضياع
بدا الشراع
يدف فى وطن مشـاع
للناس . .
كل الناس . .
لا حمل هناك ولا ضباع
بل اخوة . .
عشقوا الحياة . .
براعما عبر البقاع
عبر البقاع
فرادساً
عبر البقاع
فدع الحمائم . . ،

والبلابل . .
فوق أغصان القلاع
مترنمات
نافثات الحب فى مهج الرضاع

* * *

أنا لست ثائراً لا . . ،
ولا فى خاطرى لفح انتقام
للناس . .
بل للناس فى قلبي كما الورد ابتسام
ودموع حب . .
صارخ عاتى المذارف فى احتدام
أنا شاعر . .
فى مهجتى . .
نبتت أزاهير السلام .
فنمت بأحشاء الزمان
براعم الحب الغلام
وبراعم الحب الغلام
نمت بأجفان الأنام
فلتسحقوا

جدر الظلام

ولتنفضوا..

رهج القتام..

وتعانقوا ..

يا إخوتى ..

وتصافحوا..

فغداً سلام..



بطولة صغيرة

الأعصاب كلها مشدودة .. والحرائق مندلعة فى حى المناخ .. والجباه لا تكاد تبين فقد اختلطت حبات العرق مع الرماد الأسود المتخلف عن المعركة . . وأشلاء جثث الضحايا متناثرة هنا وهناك . . . وأطفال صغار يقبعون فى إحدى الخرائب . . يتطلعون بأعين فيها الحذر والخوف إلى السماء . فمنذ ساعة واحدة فقط كانت هنا فى حى المناخ أسر كلها حياة . . أبيدت عن آخرها برصاص المعتدين . . وهؤلاء الأطفال هم مخلفات المعركة . . كثيرون منهم أصبحوا بلا أخوة ولا آباء . . وآخرون . . لا يعلمون عن مصيرهم ومصير أهليهم شيئا . حتى نبيل ذلك الطفل الصغير الذى يرقب ما تنذر به السماء فى حذر . . وقد كان له أب وأم وأخوة . . أما الآن فقد ذهبوا جميعا وقوداً للمعركة . . وها هو يقف مع رفاقه يتطلع إلى السماء وقلبه مع الذين يقفون خلف المتاريس . . يريدون الثأر . . لأبيه . . وأمه وأخوته .

وفجأة دوى فى السماء صوت يصم الآذان . . ونظروا إلى السماء فوجدوا أسرابا من الطائرات تحجب وجهها ، واستعد كل من خلف المتاريس بمدافعهم . . وانطلقت أول شرارة فى المعركة . .

وتتالت بعدها أصوات الطلقات تهتز فى السماء . تصطاد طائرات الغاصبين . .

ووقف الأطفال يهللون مع كل طائرة تسقط . . ونبيل ينظر هناك بعيداً إلى أحد رجال المقاومة الشعبية . . وهو يقف فى بطولة خلف المتاريس . . يصب نيران مدفعه على طائرات الأعداء . . فتصيبها إصابات مباشرة . . . وألقت إحدى الطائرات بقذائفها إلى حيث يقف رجل المقاومة . . . فأصابت منه مقتلا وتسلل نبيل من بين الرفاق إلى حيث يقف الرجال خلف المتاريس . . وقبع خلف المدفع . . ويداه الصغيرتان تضغطان على زناده . . وعيناه فيهما العزم والتصميم ، ومحاولة الثأر لمن ذهبوا وقوداً للمعركة . . . وخيل له عقله الصغير . . أن يثأر لكل فرد من أفراد أسرته . . بإسقاط طائرة من طائرات الأعداء . . فهذه الطائرة قتلت أبيه . . وتلك هى التى أصابت أمه الحنون وهذه أخيه . . وتلك أخته . . وتلك هى التى أطفأت من عينى الصغير محمود البراءة . . وأخذ رجال المقاومة ينظرون فى دهشة . . فلم يبن لهم من خلف المتاريس سوى الرأس الصغير . وابتدأت الطائرات المعتدية فى الانسحاب وخارت قوى بطلنا الصغير . . فعاد من خلف المتاريس حيث يقف الرفاق . . فى الوقت الذى كانت فيه آخر طائرة تلقى بحمولتها على المتاريس . . فصوب إليها أحد رجال المقاومة رصاص مدفعه . . فأسقطها . . دموع بريئة تترقرق فى عينيه . . وبسمة الثأر . . تبعث الثقة فى نفسه .

عند باب السيدة

يا سيده
سرب الحسان يمر فى صمت الدجى .. ..
يا سيده . .
كلآلىء عبر المعابر جيده
متبرجه
فتحت لنا أبوابهن الموصده
كل النساء لنا ..
فتحن قلوبهن الموصدة .
وأنا الشيبة والهوى فى مقلتى المجهده
بالباب
أرقب كل سرب حام حول السيده .

* * *

يا بنت من فهم النساء وقال يوماً قولته
تتمنع الحسناء وهى إلى المضاجع راغبة
هى لم تعد متمنعه
أضحت كصيد مستباح للسباع الجائعه
هى لم تعد متقنعه
ذهب الحياء من النساء .. ولم يعدن كرابعه
ورفلن فى ألق الرذيله . .
حول باب السيده ..
يصطدن بمشوق الشباب بنظرة متوقده

* * *

ياسيده . .
هذى بيوت العهر قد شربت دماء الأورده
وأنا الشبيبة والهوى فى مقلتىّ المجهده
بالباب ..
أحذر كلّ سرب حام حول السيده.

أنا وأنت

يا رفيقه . .
أنت فى قلبىَ دقه.
مثل دمعه
أرتوى منها وأحيا
مثل بسمه
مازجت. روحى وذابت فى المحيا
حينما كنت وفى عينيك أسرار ومعنى
هزنى أنى أحيا
ثم لا أنظم وزنا
لا ولا أسمع لحنا
من وميض الذكريات.

من ليالٍ ..
قد جفونا النوم فيهـــا والسبات
وجدلنا ..
من خيوط القلب أغلى الأمنيات
حينما كنتُ وكنتِ ..،
وأنا فى الدرب أنتِ .
نبتنى ..
عش هوانا ..
من شذانا ..

* * *

يا رفيقهْ ..
أين ماض الذكريات
هل ذوى .. ؟؟
أم تـاه عنك ..؟؟
لست أدرى ..
غير أنى هاجنى ما كان منك ..،

قطار البنات

أخذ المعلم « على » يذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، وقبعت الست أم عفاف فى أحد الأركان تعتمد رأسها على راحتها وتنظر إلى الأرض بعينين منتفختين وتسكت بيدها الأخرى نسيج الحصيرة بينما أخذت عفاف ترتق جوربها حتى لاتتعرض لسخريه زميلاتها فى المدرسة كما حدث أمس .

وأولى المعلم « على » ظهره للنافذة ، وعقد يديه خلف ظهره ، ومال برأسه إلى الأمام مخاطباً « أم عفاف » .

— خلاص « يافتحية » ضاع مستقبلنا ومستقبل أولادنا .

ورفعت زوجته رأسها قليلا وقالت بلهجة من يواسى نفسه .

— أصبر يامعلم على ... بكره تفرج ... !! .

وعادت تدفن رأسها بين راحتيها ، وتدفن إحساسا يسيطر عليها بأنها قد لاتفرج ، فالمعلم « على» صاحب محل بقالة ..أو هكذا كان ... يطل على شارع سيدى سعيد بالسبتية .

— والنبي يا اختى على ناحيتين ، و بالبتارين . .

هكذا كانت تتباهى أمام جيرانها ، واليوم أصبح الدكان مجرد

« زنقور » لبيع عصاية الأفندى ، وعفاريت الست ، وبمب العيد ، وسبب الكمبيالات التى تكاد تودى المعلم إلى السجن .

دارت الأرض بالمعلم « على » حين سمع نقرات على الباب ، وهرولت عفاف بقلب منقبض تستطلع القادم ، وانفرج الباب عن كتلة من الشحم تتدحرج إلى الأمام وقد سبقها « كرش » ضخم ، ودخل « برهومة أفندى » وعيناه تبحثان من بين ثقوب ثوب « عفاف » عن مايرضيه ، ولكنه وجد فى تفتحها ذبولا ، وفى خدودها المتوردة أوراقا تكاد تجف .

— إيه .. مالكم ياجماعة ، حصل إيه يامعلم على .

وتحدث صوت من داخل المعلم على .

— لا .. ولا حاجة .

أحس « برهومة » أن المعلم « على » يخفى شيئاً فى داخله ، واستدارت كتلة الشحم ، وهو يسحب المعلم « على » من يده ليتجها إلى المقهى ، ولم يجد ممانعة ، فقد سار المعلم « على » خلفه تشيعهما بضع نظرات ذابلة .

* * *

مضى وقت غير قصير ، عاد بعده المعلم « على » فرحاً مهللا ، يلوح بأوراق بيضاء فى يده ، ويطبق يده الأخرى على شىء آخر .

وأقبل على زوجته وقد انفرجت أساريره .

ـ خلاص « يافتحية » فرجت وربنا فتحها علينا .

وبسط إحدى يديه بالكمبيالات التي كادت تؤدى به إلى السجن. وبسط الأخرى عن آخرها ، وهو يبتسم فى بلاهة ، بأوراق حمراء ، وخضراء .. إنها نقود ، وحقيقة إنها كثيرة .. ولكنها كانت أقل من راحة يده التى بسطها .. !! وشرح لهم طيب قلب « برهومة » ، وكيف أنقذه من السجن ، وأنقذهم من التشرد .

ونظرت عفاف إلى أبيها .،

حقيقة أن « برهومة » رجل غني ، استطاع أن يغتنم فرص الحرب ... وحقيقة أن هناك كثيرون يعملون الخير ... ولكن « برهومة » ليس منهم ، وهى لا تخطىء نظراته الوقحة كلما يراها . وقام فى ذهنها خاطر خبيث ، فأزاحته ، وهى تتجه إلى النافذة تملى نظرها من « فريد » صديق طفولتها وصباها ، وحبيب عمرها ، وشبه خطيبها ولكنها وجدت نافذة حجرته موصدة ، وشبح فريد يكاد ينزوى مع نهاية الطريق .

* * *

قضت « عفاف » ليلتها مسهدة ، تستبد بها الخواطر وتلح عليها حتى تكاد أن تكون حقيقة ، والحقائق تخالها تتسرب من حياتها فلا تلتقط فى يدها غير السراب .. أما الأمانى والأحلام ».

وأما الأيام الماضية ، وأما العصفورين الصغيرين ، فقد ذهب هذا جميعه ، وإذا الحياة ما كادت تنبسط حتى قبضت ، وإذا اليوم ما كاد يصبح حقيقة حتى أضحى أمسا . . . والأمانى ذكريات ، والكلمات العذبة أحلام .

هدأت حدة خواطرها قليلا ، مع أساها . وأغمضت عينيها وحوم النوم حول جفنيها ، فأسبلتهما على صورتها .. عروس تزف فى أزهى زينتها ، وبسمة وارفة تملأ شفتيها . . . وبجوارها عريس حبيب إلى قلبها ، وفى الناحية المقابلة من « الكوشه » وقف رجل يضغط القيد على يديه ، وتجز أسنانه على لاشىء . وحوله أطفال صغار يتشبثون به ، واقتربت صورة الرجل قليلا من ناظرها ، فإذا به وجه يشبه وجه أبيها ..

لا .. إنه ليس هو ، وليست هى .. ليس هؤلاء اخوتها ، وليس هذا عريسها .. بل وليس أبيها الذى تجز أسنانه على اللاشىء .

وأطلقت صرخة مدوية ، استيقظت معها ، واستيقظ على صداها كل من بالمنزل .. وهرولوا إليها يستطلعون الأمر ولكنها أخبرتهم وهى تحتضنهم بنظراتها والكلمات تكاد تختنق فى حلقها بأن حلماً مفزعاً راودها .

وعاد كل إلى فراشه ، وعادت عفاف إلى إغفاءتها ، والأفكار السود ماتزال تستبد بها . .

قاسية هذه الأفكار، لم تسيطر عليها هكذا .. وتخنق إقبالها على الحياة .؟ إن أفكارها الآن بصيص من نار وغداً يستحيل إلى رماد

وهى .. م ا موقفها ..

إنها هى الأخرى رماد يودون نثره فى الهواء ليقدسوه ، ولكنهم لا يعلمون أن الأقدام تدوسه ، وتركاه ، بعد أن تخف حدة الرياح .

وأقبل على غفوتها الفجر ، فإذا هى عروس بجوارها جلاد ، يمسك السوط بيده .. حقيقة إنه يبتسم ، وحقيقة أيضا أن الناس يبتسمون لبسماته ولا يدرون أنه جلاد ، يعذب الناس ويشقيهم.. حتى أبوها هو الآخر يبتسم ، وأمها تتلقف « النقطة » من صاحباتها ، وإخوتها يمرحون ويلعبون .. الجميع يجلسون فى سعادة ماعدا هى فتقف على خشبة الإعدام ، وجلادها يرقص فرحاً ، ويتحرك كرشه مع رقصاته ، ويعلو السوط فى يده ليهوى به على جسدها ، فتنهار .. وتهوى خشبة الإعدام من تحت قدميها ، فتسقط ، ومع سقوطها ترتفع صرختها ..

واستيقظت « عفاف » على أيدى أبيها وأمها تحركانها ، وقد أمسك أبوها بالمخده يغير من وضعها ، وامتدت إليها يد أمها « بمصحف » ليذهب عنها الكابوس . وعادا إلى فراشهما

وظلت هى ترقب انبلاج الصباح ، بدموع تود أن تمسح بها أفكارها .

* * *

استيقظت « عفاف » فى الصباح بعينين متورمتين ، وفكر مضطرب ، وأخذت تعد ملابسها لتذهب إلى المدرسة تدفن فيها إحساسها باليأس . ولكن أمها أخبرتها أن تستعد هذا الصباح حتى يحضر « برهومة أفندى » لتخرج معه إلى إحدى المتنزهات العامة ، بعد مارأى فيها من ذبول .

ورضخت للأمر ، وفى داخلها إحساس بأن أحلامها لم تخطىء وأمام ناظريها شبح أيامها الماضية مع « فريد » تكاد تختفى وتنطوى مع الزمن ، ولمحت خلال حياتها الأيدى الصغيرة وهى تتشبث بها .

أفاقت « عفاف » من أفكارها على صوت عربة « برهومة » وهى تقف أمام المنزل ، وأمها تناديها لتهبط إليه ، وبسمة واسعة تملأ وجهها ، ونظرة متفحصة تعيد بها النظر إبنتها . وهبطت « عفاف » إليه بشرودها ، وإن حاولت أن تعطيه بسمتها الباهتة . وفتح لها باب العربة ثم ركب بجوارها وأدار محرك السيارة متجها فى طريق الكورنيش إلى حلوان .

ومع المساء أقبل « فريد » إلى منزل « عفاف » كعادته كل

أمسية ، ولكن والدتها أخبرته بأنها غير موجودة ، وقبل أن يسأل عن مكانها ، كانت أم « عفاف » تنصحه :

— « يافريد » يابنى . . خف رجلك شوية أحسن الناس بتتكلم كتير . . !! .

وعاد فريد من حيث أتى ، وهو لايدرى من أمره . ومن أمرها شيئاً .

* * *

ظلت حالة عفاف وأسرتها ، وبرهومة على هذا المنوال . يأتى إلى المنزل بعربته فتهبط إليه بأحاسيسها الموءودة ، ويذهبا سوياً إلى إحدى الأماكن العامة . وأخذ « برهومة » يغدق عليها وعلى أسرتها واستأجر والدها محلا آخر غير « الزنقور » ، وأقبلت عليه الحال قليلا ، وإن كادت النقود التى يغدقها عليهم « برهومة » تنسيه البحث عن المكسب والخسارة .

وذات مساء ، وكانت نتائج الامتحانات قد أعلنت حصول « عفاف » على دبلوم المدارس التجارية الثانوية ، جلست « عفاف » تحاول إقناع أبيها بالتحاقها بإحدى الوظائف . وبعد تردد ، ومع قوة إقناعها ، وإلحاحها وافق أبوها ، وأن لقى هذا معارضة من « برهومة » .

– عيب ياجماعة ، إحنا برضه ، أولاد بلد ، ومايصحش أبداً البنت تشتغل .

ولكن معارضته لم تستمر طويلا حين رأى إصرار «عفاف» ووافق على التحاقها بالوظيفة على مضض .

استمر «برهومة» يتردد على منزل المعلم «على» يمنى نفسه بالزواج من «عفاف» وبدأت «عفاف» تقلل من نزهاتها معه لمشاغلها الكثيرة وتراوغ فى علان زواجهما حتى تقتصد شيئا تستطيع أن تؤثث منه منزلها علاوة على مايدفعه من «مهر» وحتى يستطيع والدها أن يقتصد شيئاً يبنى به مستقبل إخوتها الصغار .

وذات يوم ، وجد «برهومة» المعلم «على» يسأله :

– هو الدين اللى فى ذمتنا كام «يابرهومة افندى» ..

وفاجأ السؤال «برهومة» وأجاب فى لهجة يشوبها شىء من الدهشة

– هو فيه بينا وبين بعض دين يامعلم «على» ، واحنا اخوات وحنبقى أهل ، «وعفاف» كبرت وماحدش حيقول حاجة .

ولكن المعلم «على» رد عليه بكلمات مطمئنه :

معلهش يابرهومة أفندى .. نخلص من الدين الأول ، وبعدين نفكر فى حكاية البنت على رواقه .

وقبل « برهومة » تسوية الدين ، وسدد المعلم « على » ما كان مديناً به ، واتفقا على تحديد موعد للانتهاء من موضوع زواج « برهومة » من « عفاف » بعد انتهاء برهومة من إحدى صفقاته فى الأقاليم .

وفى الموعد المحدد حضر برهومة إلى المنزل ، ليجده خاوياً .. فقد غادره المعلم « على » وأسرته بعد أن باع محل البقالة الذى يملكه واستقر فى حى آخر .

وأتى قطار البنات على محطة « عفاف » فتعلقت بعد أن كاد يدركها ويتركها ..!! .

المجد لنا

مثل الشمعة
حلوان اليوم كما الشمعة
تذرف دمعة
لتقوّض جدران العتمه
ديجورة ماضينا الأكمة
واليوم صباح نغرسه..
بالنيل كما الورد الحالم
نعليه مصانع وبراعم
فى صدر جنين . .
لا زال بوجدان الغيب
وكدفقة حب فى قلبي
لم تشهد نور . .

سنسير . نسير . .
لننير له الدرب الجاهم . . بدم الأبطال
وسيمضى عملاقا فذاً . . ليقود رجال
وسيبعث فى العالم غنوه
من فوق جبهات القمة
وسيحيا غصناً فى ربوه
غصنا أخضر
ليبث رؤاه
فى قلب حياه
فى صدر فتاه
قد ثار على الكبت الأول
واهتز كجمر فى مرجل
أما تهوى . .
وأبا تهوى . .
وحبيباً يملأ عينيها . . أملا حلوا
ونراه غداً يمشى يمشى
عملاق الخطوة كالليث
لا يرهب سطواً أو غدرا .

* * *

ونسير نسير كذا نمضى
بخطا التوفيق إلى النصر

المجد لنا
المجد لنا
والشمس سنبزغها قسرا
لتضيء بها الوطن الأكبر
وطن الزيتونة والعوسج
ينبوع سلام يتدفق
فى قلب أخى . .
فى صدر أبى . .
فى ثغر جنين كالورده
عيناه تشعان موده
شفتاه تخامرها البسمه
ولدى يأتى
يأتى بعدى
عملاق الخطوة كالأسد
لا يرهب سطواً أو غدرا

* * *

همهمات

همهمات ..
دمدمات ..
مشعلات .
كاشتعال الجمر فى ميت النبات
كلها من أجل ماذا ؟؟
لست أدرى . .
غير أن القلب يطويه اضطراب
وعباب من ضباب
لف عينى . .

* * *

مثلما لف الدجى جفن الشهاب

لفها ..
حتى توارى
نور عيني بالحجاب

* * *

كيف لا أترك عيني .. ؟؟
تذرف الدمع الهتون .
كيف لا أترك قلبي .. ؟؟
مسهداً دامى الجفون .
كيف لا أترك شعرى .. ؟؟
يسكب اللحن الحزين .
وأنا الرزء بدارى ..
كيف يا خل أدارى ..؟؟
ما بقلبي من شجون .

* * *

بلا هدف

وبلا هدف
دوما أسير بلا هدف
كأنين ماض مرتجف
عمرى ..
تناثر كالصدف
ولا صدف
حولى
تلملم ما انجرف
عبر الدروب الجهم لا..
لا .. لا صدف
يافتنتى ..
ذهبت حياتى ...

كلها ذهبت سدا ياللأسف
وأزاهر العمر النضير بهن قد عاث التلف
وراء هاتيك الغرف
بعثرت أحلام الربيع . .
وراء هاتيك الغرف
كل الغرف..
شوهاء . .
عابسة المحيا كالجيف
دكناء . .
لم يخطر عليهن الترف
ابدا . .
وقد صعق الشغف
ومضى . .
كماضٍ مرتجف
وكدمع حزن لم يجفّ
وأنا أسير بلا هدف

* * *

لـكن . .
لِم اليأس الذى أخبا مصابيح الأمل
ولِم أسير بلا أمل

يا فتنتى . .
فاروى الأمل
برضاب هاتيك القبل
ودعى الشراع . .
يشق أحشاء الظلام المنسدل
فشعاع وجهك للأزل
سيضىء عابسة الأجل
وحنين قلبك لم يزل
يطوى تباريح العلل
فدعى . .
شراعك هاهنا
ينساب فى ومض الأمل
مازال فى الدنيا أمل
غرد بأجفان المقل
فلقد خُلقنا للأمل
ولكم فتنّا بالأمل
يافتنتى . .
فلتستحق الآهات فى سفح الجبل .

* * *

خمارة بنايوتى

لم يكن « بنايوتى » ساذجاً حين اختار ذلك المكان من كورنيش النيل فى المنطقة الواقعة بين كوبرى أبو العلا وروض الفرج ، ليفتح فيه خمارة أو « كباريه » كما كان يجب أن يسميها دائماً ، حتى وصل به الأمر إلى أن وضع يافطة كبيرة على واجهة خمارته وكتب عليها بالأنوار المضيئة « كباريه الأحلام » .

كانت الخمارة ملتقى الطبقات الدنيا وبعض الطبقات العليا ، فموقعها المتطرف إلى حد بعيد كان يجذب إليها الكثيرين من عشاق الهروب عن أعين الرقباء ...

وكنت أنا بحكم سكنى وظروف وحدتى البغيضة من زبائن الخمارة الدائمين الذين كان يعتز « بنايوتى » بهم بالرغم من حذره الشديد من أن يهرب أحدهم دون أن يدفع ما عليه من حساب مشروبات الشهر ، فقد كان بنايوتى يرعى ظروفنا ودوام ترددنا على الخمارة ، وإن كانت ألاعيبنا فى المماطلة أو المغالطة فى الحساب لم تكن تنطلى عليه .

ونشأت بينى وبين بعض زبائن الخمارة صداقات وطيدة كان يجمعها إحساسنا المشترك بضرورة الهروب من الحياة ، والشعور بالوحدة القاتلة ، بالرغم من أن بعضنا كان يهرب من كثرة ما فى حياته من ضجيج ومشاكل ...

وكان عم « جمعه » من أقرب زبائن الخمارة إلى قلبى . . . إنه من ذلك النوع الذى لو جلست إليه لحدثك فى كل شىء ، ولا تفرغ نوادره و « حكاياته » أبداً . . . كان يعلم أدق الأسرار عن زبائن الخمارة . . . فكثير منهم . . . كان يفتح له قلبه حين يقترب الليل من نهايته ... وتكون الخمر قد لعبت برأسه ..ولم يجد أية غضاضة فى أن يفرغ ما فى قلبه بعيداً عن إحساسه بالذنب أو خشية من أن يكون مستمعه بوليساً سرياً أو من أولئك الذين يجرون خلفه بسياط مشاكلهم ...

وفى إحدى الليالى ، وكانت كأسى الخامسة قد فرغت لتوها من أن تقابل إحساس بالقلق والوحشة واستحالت « الأشكال » أمام عيناى إلى دوائر سوداء فى لون جاكتة عم « جمعه » التى لم يكن يستبدلها أبداً .

مال عم « جمعه » برأسه ناحيتى ، ورائحة الخمر تفوح من فمه ، وأصابعه العجفاء تلقط بضع حبات الترمس من أمامى . . . وقال وأصابعه تشير إلى أحد زبائن الخمارة :

— هل ترى ذلك الرجل الجالس هناك يتابع حركات الراقصة بشغف ؟

ونظرت إلى حيث أشار ، فرأيت رجلا فى حوالى الحلقة الرابعة من عمره تبدو عليه بعض مظاهر اليسار ، أخذ يلتهم

بنظراته « ناهد » وهى تتثنى فى دلال بين المقاعد .. تلق بضحكاتها إلى الزبائن ، فترتفع إليها الرؤوس التى لعبت الخمر بها . . . والتى يتمنى أصحابها أن تقضى « ناهد » مع كل منهم بعض الوقت الممتع .

قلت لعم جمعه ، وأنا أحس بأنى على أبواب قصة جديدة ...

— نعم أره . . . ما شأنه . . . ؟

وازدادت رأسه من أذنى اقتراباً ، وهو يهمس . . .

— لقد قرر أن يتزوجها . . .

قلت . . .

— من . . . ؟

قال عم جمعه ، وخيبة أمل تسيطر على نظراته . .

— ناهد ... هكذا قال لى الخواجه ... « بنايوتى » أمس ...

وأخذت أتفحص « ناهد » ، لقد كانت فى حوالى العشرين من عمرها ، خمرية ممتلئة الجسم ، قليلا من النوع الذى يضفى المتعة والمرح ، وكثيراً ما كنت أدعوها إلى مائدتى وأطلب لها كأساً من الوسكى وأستمتع بجلستها وحديثها وفى داخلى إحساس . . . من أثر الخمر ، أو من أثر الوحدة ... بأنى ينبغى أن أطلب منها قضاء ليلة ممتعة معى . . . فى منزلى . . . ولكن لم تكن « الشجاعة » قد واتتنى بعد . وتعجب فى حيرة من أمر الرجل الذى قرر الزواج من الراقصة بالرغم من فارق السن بينهما وسرعان ما زالت حيرتى

حين قص على عم « جمعه » فى هذه الليلة . . . ما يعرفه عنه .

كان والد الأستاذ « حموده » عمدة إحدى قرى الوجه البحرى ، توفى وابنه الوحيد ما زال بعد دون العشرين ، مخلفاً وراءه ثروة كبيرة ... ونزح حموده إلى القاهرة ينفق فيها عن بذخ واستهوته بنات إحدى الأسر فتزوجها وهو يمنى نفسه بحياة مستقرة بين زوجة وأولاد . . . وكان حموده يتغيب عن منزله فى فترات متباعدة ، يسافر فيها إلى قريته ، يرعى شئون أرضه ، ويحصل على إيرادها ، ولكن زوجته ركلت « النعمة » التى كانت تعيش فيها ، وهربت أثناء إحدى سفرياته ، مع أحد الشبان بعد أن كان « حموده » قد قرر أن يكتب لها ولجنينها الذى لم ير النور بعد ، بعض أملاكه فى القرية ...

وعاش « حموده » ـ بعد أن أعياه البحث عنها ـ ، يتنقل بين حانات القاهرة يحاول أن ينسى فى الخمر زوجته ووحدته ، حتى استقر به الحال أخيراً فى خمارة « بنايوتى » .

وقال « عم جمعه » وهو يسحب الكرسى الذى كان يجلس عليه متجهاً إلى مائدة زبون آخر :

ـــ دائماً المرأة . . . تدفع إلى الخمر ، أو تدفع الخمر إليها . . . ويوم أن تتغيب « ناهد » عن الخمارة ستكون الخمر قد أثمرت فى رأس « حمودة » .

وصدقت نبوءة عم « جمعه » وذات يوم انقطعت أخبار « ناهد » عن الخمارة ، وانقطع « حموده » عن مائدته المفضلة . . .

* * *

انتقلت للإقامة بجوار عملى فى حلوان . . وانقطعت عن « خمارة بنايوتى » وكدت أنسى « عم جمعه » وقصصه الممتعة ، إلى أن كان ذات يوم كنت أغادر فيه « المترو » فى محطة باب اللوق لمحت أمامى ما جعلنى أقف مشدوها . .

كانت « ناهد » بلحمها وشحمها ، ترتدى ثوباً أسود زادها فتنة وأظهر جمالها تحاول أن تستحث الخطى لتستقل القطار المتجه إلى « حلوان » ، وما أن لمحتنى حتى أقبلت على تصافحنى وفى عينيها بعض الأسى .

وبادرتها أسألها عن أحوالها ، والمح بطرف خفى إلى « حموده » ولكن ما كانت عليه من حالة نفسية ، جعلنى أسألها عما إذا كانت مستعدة لأن تقضى معى بعض الوقت ، فلم تمانع . وأمام إحدى الموائد فى أحد الكازينوات بجوار كوبرى قصر النيل جلست إلى « ناهد » أمنحها أذنى وأحاول أن أستشف ما يدور بداخلها .

قالت « ناهد » والدموع تملأ عينيها :

ــ أظنك تعلم كيف كان « حموده » يستعجلنى إليه ، وبالرغم من

فارق السن الذى كان بيننا قبلت أن أتزوجه لأعوض به الوحشة والوحدة التى كنت أحيا فيها .

وانقطعنا كما تعلم عن الخمارة وبدأنا نستعد لعقد قراننا كان هو وحيداً يبحث عن من تملأ عليه حياته ، وكنت أنا أعيش وحيدة بلا أهل ولا أقارب ماعدا الخمارة وزبائنها ، وقريب لأمى المتوفية كان يعطف علىّ هو وزوجته .

وفى الأيام التى سبقت ليلة عقد القرآن ، لم يحاول « حموده » أن يلمسنى ، ولم يحاول أن يدعونى إلى بيته ، أو يأتى معى إلى حجرتى ..

وأقبلت الليلة المشئومة ، وأقبل إلى منزلى قريب والدتى وزوجته ، وبعض صديقاتى وأصدقائى من راقصات وزبائن الحانات التى كنت أعمل بها . وجلس الجميع يترقبون مجىء « العريس » ومعه المأذون . وحين أقبل « حموده » والمأذون خلفه ، وجدته ينظر فى المدعوين فى دهشة ، ثم يقبل على قريبى يحتضنه فى شوق وكل منهما يسأل الآخر عن أحواله ، وعن سبب مجيئه إلى هذا المكان ، وأخبره قريبى عن صلته ، وحين أخبره « حموده » أنه العريس المنشود ساد الهرج والمرج بين الحاضرين وأخذه قريبى من يده بعد أن صرف المأذون وجلسا على أحد المقاعد وأخبره بقصة زوجته التى هربت وهى حامل فى شهورها الأخيرة ،

وعاشت مع أحد الشبان فى « الاسكندرية » وبعد أن وضعت « ناهد » ونفذت نقودها ضاق بها عشيقها وبابنتها ، فالتحقت فى حدى الصالات تعمل فيها كراقصه إلى أن ماتت فريسة مرض صدرى وتركتنى وحيدة فى إحدى الملاجىء ، وحين بلغت السن التى لا يحق لى بعدها أن استمر بالملجأ ، جئت إلى القاهرة والتحقت للعمل كراقصة بصالاتها إلى أن التقينا .

ولم تتحمل أعصاب « أبى » المسكين الصدمة ، فوقع فريسة مرض عصبى ، وأدخلناه إحدى مصحات الأمراض العصبية ، ولكن لم تطل إقامته فيها ؛ فقد توفى بها بعد أن ترك لى ما تبقى من روته .

وقامت « ناهد » تصافحنى بأعصاب مضطربة وعينين مشحونتين بالدموع ، وودعتها وفى قلبى شىء أود أن أفضى به إليها ، ولكن حالتها لم تمنحنى هذه الفرصة .

وانصرفت خلفها ونبوءات « عم جمعه » تلاحقنى .

المصاعد

لا زلت . .

ألعق من دمى .

لا زلت . .

أجمع أعظمى .

لا زلت . .

فى الدرب الوعير أسير كى لا تعلمى

أنى هنا . .

بعضى هنا . .

ومع المعاول معظمى .

* * *

يا فتنتى . .
لا تندمى . .
ولتعلمى . .
أنى غدا . .
سأنير درب تجهمى .
فعلى مناط الفرقدين . .
حفرت موضع مقدمى

* * *

حسناء لا تتألمى .
فلقد ملأت . .
مصانعى . .
ومزارعى . .
ومرابعى . .
بمصاعد المستقبلِ .
وعلى فمى . .
صوت . . من الماضى الأثيل
على فمى . .
صوت يداعب مبسمى .
ويقود ركب تقدمى .

منذ الزمان الأول .
الشمس تبزغ من علٍ . .
بسواعد . .
المستبسلِ .
أختاه . .
لا تتشائمي .
وتفاءلي .
فشاعل المستقبلِ
ستضيء . .
عابس معبري .

النبيه الكبير

(١)

استقبلت « الجميزة » الضخمة التى تحرس مدخل قريتنا قطار المساء فى فتور . ولم تكن هذا المساء فى تورقها المعتاد ، فقد امتلأت أرض المحطة بأوراقها التى لفظتها طوال يوم عاصف ، وتدلت الغصون العجفاء الى الطريق كأنها تود أن تعترض طريق قطار المساء .

وأمام نافذة ديوان من دواوين الدرجة الأولى وقف « خورشيد بك » يرقب مدخل القرية بجسمه المكتنز ، وكرشه الممتد أمامه . وحين استقر القطار بالمحطة . هبط « خورشيد » يطأ أرض القرية إلى سيارته ، وتقبل طين القرية وقع أقدامه فى حنان ، تماماً كما يفعل مع «حمدان» و « عبد المغيث » حكمة قديمة سمعتها من أحد شيوخ القرية ذات يوم :

— يا بنى . . هذه الأرض التى تطأها أقدامنا ، فتتقبلها فى حنان ، . لاتعرف الحقد ولا الضغينة ، كلنا لديها سواء . وطينها يدخل فى تكويننا ، وفى النهاية أيضا ستضم رفاتنا .!

وحين سمعت هذه الحكمة ، لم أدن سيبا لهروبنا من حقيقة أنفسنا . . ، وما دامت هذه هى الحقيقة فلم يعاملنا خورشيد بك بهذه القسوة ؟

كان « خورشيد بك » يمتلك مجموعة « العزب » التى يتكون منها زمام قريتنا ، وقصراً ضخما تركع أمامه الأرض الشاسعة ومن فوقها تطل منازل الفلاحين على القصر الشامخ فى مذلة ورغم هذا لم يكن يقضى فى قريتنا سوى شهرين أو ثلاثة من أشهر السنة يتغيب خلالها أحياناً

قال جدى ذات يوم :

— رحم الله جدك يا خورشيد ، ورحم الله قدميه ، والحذاء البالى الذى كان يجوب به أرض القرية ، يطرق أبواب بيوت أهلها ليعرض مايحمله فى حقيبته من ملابس وعطور .

ويوم أن سمع «خورشيد بك» هذا الكلام ، إمتلأ غضباً . وأخذ يسب ويلعن الفلاحين الشحاذين أمثال جدى .!

وكان خورشيد بك وزوجته يقيمان وحدهما فى القصر ، . أما ابنه فقد كان يقيم فى القاهرة ، ولم يكن يأتى إلى القرية فى المناسبات والحفلات التى كان يقيمها والده .

وكنا نحن الصغار لا نجرؤ على الاقتراب من أبواب القصر

وأسواره . ويوم أن تسلق أحدنا شجرة التوت المجاورة للقصر ولمحه (خورشيد بك) غضب وأخذ يلعننا ويلعن أهل القرية جميعاً وفى ذلك المساء حضرت من المركز قوة لتأديبنا ، وتأديب القرية على وقاحة أبنائها وتطاولهم على قصر (خورشيد بك) ولم تكن عقولنا الصغيرة تعى السبب الذى يجعل هؤلاء العساكر يسمعون أوامر (خورشيد بك) ويقسون علينا ، بالرغم من أنهم فلاحون مثلنا ، ولا يفارق وجوههم البؤس الذى يخيم على وجوه أهل قريتنا . ؟

أما الكبار من أهل قريتى ، فكانوا ينظرون إلى القصر فى أسى ، ثم تعود نظراتهم مطرقة الى الأرض مرة ثانية .

فى هذه الليلة التى وفد فيها (خورشيد بك) بقطار المساء إلى القرية ، كانت عربة صغيرة تقف أمام مدخل القصر تنتظر صديقا حميا لخورشيد بك . . وإن كانت هذه العربة لم تكن ترى فى القرية إلا فى الفترات التى كان يتغيب فيها خورشيد بك عن القرية . . ، أما فى غير هذه الفترات ، فلم تكن ترى فى القرية إلا لماماً . !

وحين أضاءت سيارة (خورشيد بك) أول الطريق المتجه الى القصر ، كانت السيارة الأخرى تنحدر مع الطريق .

وخلال ساعات الفجر ، انطلقت صرخات مكتومة من القصر

تقطع سكون الفجر ، وعوى ذئب فى الطرف البعيد من القرية .
وأسرع أهل قريتى « الطيبون » إلى القصر يستطلعون الأمر ،
واستقبلتهم حرم خورشيد بك فى جزع ، وخشيت من أن يكون
فى تجمعهم خطر عليها وعلى القصر ، فأمرت الخدم بطرد
أهل القرية . . ! !.

وعاد أهل القرية الطيبون . وفى أعينهم الآسى ، وعلى ألسنتهم
خبر وفاة « خورشيدبك » بعد أزمة حادة

* * *

(٢)

انقضت مراسم الوفاة ، واستقر « عصام » نجل خورشيد فى
القصر . كان شاباً ، وسيماً فى حوالى الثامنة عشرة من عمره ولما
كان لم يألف حياة الريف بعد ، فقد عاش فى القرية ملولا مكتئباً
يود العودة إلى المدينة الصاخبة .

واستبشر أهل قريتنا خيراً ، وإن لم تنقطع المعاملة القاسية ،
واستمرت النظرة « المشمئزة » تقابلهم حين يطالعون وجه حرم
« خورشيد بك » ، وهى تتفقد مع نظار زراعتها أحوال الأرض
ومحصولها ، وكثيراً ما كانت تأمر بطرد بعض المستأجرين من
الأرض بلا سبب ، لمجرد أنها لا ترتاح لرؤيتهم . وكان عصام

مشغولا عن الأرض وأحوالها ، ونظار الزراعة وتصرفاتهم برحلات الصيد ، والعربات الفاخرة ، والولائم التى كان يقيمها لأصدقائه فى نهاية كل أسبوع . وكان أهل قريتى ينظرون إلى كل هذا ، ويعودون إلى أكواخهم مطرقين إلى الأرض . ولم أكن أدرى السبب فى طول إطراقهم ولماذا لا يثورون على هذا الوضع ، ويستعيدون أرضهم ؟ ولكن أهل قريتى الطيبين لم يكونوا مقتنعين بمنطق الغرير ، فكانوا ينظرون إلى فى أسى ، وتتبادل نظراتهم فى حسرة .

مساكين أهل قريتى . . هم الذين يدفعون ضريبة حياتنا . . نحن الصغار نمرح على ظهورهم ، وتحملنا أيديهم المعروقة . وأصحاب الأرض يلهبون ظهورهم بالسياط ، ويأكلون أجر أيديهم التى تشققت ، وتسربت من خلول شقوقها « حفنات » من تراب الأرض الحبيبة اختلطت بدمهم . ونأتى أخيراً نحن الصغار الغريرين لنقول لهم . . لم لا تثورون يا أهل قريتنا . ؟ .

ولكن نظراتهم المكدودة ، كانت تنبىء بأنهم يودون الثورة ، وأنهم قطعاً سيثورون . ولكن الثورة لم تكن قد تهيأت سبلها بعد ، فقد كان رأى الشيوخ من أهل قريتى أن الرأس يجب أن يقطع قبل الذنب ويجب أن تبدأ الثورة من المدينة الكبيرة . من القاهرة . حيث يقبع الجدار الذى كان يستند إليه الذين يأكلون خيراتنا .

وذات يوم ، وضوء القمر يداعب الأرض الخضراء ، وحرارة الصيف تخنق الأنفاس ، وشيوخ القرية يتسامرون فى الحقول . خرجت مع مجموعة من الأصدقاء إلى ساحة القرية نمارس ألعابنا فى مرح . وصعدت إلى أعلى شجرة التوت القائمة حول القصر ، اختبأ بين أغصانها من الأصدقاء . ومن خلال نافذة مفتوحة ، لمحت حرم خورشيد بك فى وضع مثير مع « عثمان » صديق خورشيد . وهبطت إلى الأرض وجريت مسرعاً إلى شيوخ القرية أبلغهم الأمر ، فغلى الدم فى عروقهم . وأسرعوا إلى القصر يحملون فؤوسهم ، يهدون بالقضاء على الخطيئة فى مهدها قبل أن تدنس أرض القرية وتحل علينا لعنة الله .. !

وأمام باب القصر ، تجمع أهل القرية فى زمجرة رهيبة ، وأصواتهم الهادرة تنادى بخروج الفاجر ، والفاجرة وأقبل « عصام » ، ووراءه مجموعة من خدم القصر يستطلعون الأمر وهال عصام تجمع الرجال وغضبهم . وبان الجزع فى وجهه حين رأى الفؤوس ، وقد ارتفعت فوق الرؤوس ، تود أن تنفث عن بعض ما فى نفوس أهل القرية من ثورة .

وتحدث شيخ من شيوخ القرية :

— إننا لا نرضى أبداً بما يحدث فى داخل هذا القصر ، وإما أن يغادره الفاجران ، أو نهدمه بفؤسنا .

وزمجرت الجموع التي وقفت أمام باب القصر ، وخشى « عصام » من تطور الأمر ، فأسرع إلى حجرة أمه وقد ارتفع الدم إلى وجهه وأذنيه وحين عاد « عصام » بعد لحظات — كان رأسه مطرقاً إلى الأرض ، وفى عينيه مذلة . وتحدث بصوت خافت .

— إنى أتعهد بألا يحدث هذا الأمر مرة ثانية ، وقد هربت « ما ما » مع عثمان بك من أحد أبواب القصر الخلفية حين أحسا بالخطر .

ووعد أهل القرية بأنه لن يسمح لهما بالعودة إلى القصر مرة أخرى . وأسرع بعض الرجال إلى جوانب القصر يبحثون عنهما ، ولكن لم يعثر لهما على أثر .

وعاد أهل قريتى إلى الحقول بفؤوسهم ، وفى داخلهم روح جديده . .

(٣)

انحدرت الشمس إلى المغيب ، وتسربت أشعتها إلى الزرع تداعبه ، فاستحالت الأرض إلى عروس فى ليلة زفافها ، مجلوة فى ثوب أخضر معرّق بالذهب .

وأقبل سرب الفتيات يتهادى على « الزراعية » ، وقد حملت

كل فتاة جرتها فوق رأسها ، وانطلقت الضحكات المغردة . ومن خلال الحقول تسرب صوت ناى جميل يداعب الأصيل، وابتسمت الفتيات ، وتحولت نظراتهن إلى « نعمات » يرقبنها فى حسد وقد تضرج خداها بلون الشفق . وأمام إحدى أشجار الكافور الضخمة وقف سرب الفتيات يستمتع بالألحان الجميلة التى يداعب بها « عطوه » محبوبته كل مساء ، ويصب فيها وجده وهيامه . وانطلقت الألحان العذبة فمست قلب « نعمات » واحتضنت عيناها « عطوة » فى حب ، وتمايلت الجرة قليلا فوق رأسها كعروس انتشت من الألحان ، فقامت ترقص على نغماتها .

كان «عطوة» أجمل شباب القرية ، يتمنى كل بيت من بيوتها أن يتقدم فيخطب إحدى بناته ، ولكن « عطوة » كان قد وهب نفسه لأمه المريضة ، ولنعمات التى أحبها من كل قلبه ، وللناى الذى تجرى نغماته فى دمه . وكان عطوة قوياً فتياً ، يعمل فى دائرة «خورشيد بك» وفى إحدى الأمسيات أقبل عليوة خولى الدائرة وأخبر عطوة بأنه مطلوب للقصر .

كان القصر محرماً على أهل قريتى ، ولذا كان أهل القريه يتوجسون خيفة حين يطلب القصر أحد رجالها ، وكثيراً ما ذهب رجال كثيرون إلى القصر بناء على طلب أحد أصحاب القصر ، ولكنهم لم يعودوا إلى أن يعلم أهل القرية بعد ذلك أن القصر غير راض

عن هؤلاء الرجال ، ومن ثم فيجب ألا يعودوا وأن ينساهم أهل القرية . ونسى أهل قريتي الكثيرين ممن طلبهم القصر . ولذلك توجسوا خيفة حين طلب عطوة للتوجه الى القصر .

سار « عطوه » مع « عليوه » الى القصر ، وعيون أهل القرية وآذانهم تترقب أخباره .

ماذا فعلت « ياعطوة » حتى يطلبك القصر ؟ . . . مسكينة أمك المريضة (يا عطوة) لعلها الآن تنتظر من يجيئها بأخبارك .

وحين دخل (عطوة) القصر لم يجد ما كان قد سمع عنه من أهل القريه عندما ذهب الكثيرون من رجالها الى القصر ، فلم تكن تلك العربة المشئومة ، التي كثيراً مااختفت برجال من القريه تأخذ مكانها أمام باب القصر . ووجد « عطوة » حفاوة يقابله بها كل من يراه داخل القصر ، وإن لم يلمح الغمزات التي اطلعتها بعض العيون . وسار «عطوة» حتى وصل الى حرم «خورشيد بك» وكم كانت دهشته حينما استقبلته ببسمة حانية ويدها تتقدم الى يده المشقوقة تصافحها في عذوبة .

ماذا دهاك (ياعطوة) ! ؟ هكذا مرة واحدة ، إن حرم (خورشيد بك) تأنف من أن تنظر الى أحد أبناء قريتك ، أما أنت فتقدم يدها إليك تصافحك وتقابلك عند الباب ببسمة حانية. إنتظر فلعل القصر مازال يخبيء لك الكثير .

ومضت لحظات قبل أن تدوى فى جنبات القصر صفعة قوية وكلمات هادرة يصرخ بها عطوة فى حرم (خورشيد بك) وهو يجرى مسرعاً يحاول الفرار من شىء يلاحقه ، وكادت جنبات القصر تهتز حين صرخ عطوه بأعلى صوته :

— مجرمة . . . مجرمة . .

وعاد (عطوه) الى الحقل ، وكلماته الهادرة ما زالت تتردد فى أنحاء القرية ، وهمس أبناء القرية بكلام كثير عن مسلك حرم (خورشيد بك) بالنسبة لعطوة ، وكيف استهوتها فتوته وشبابه فأرادت أن تفنى عمره الشاب فى سنى عمرها العجاف .

ومن بعدها لم يعد « عطوة » للعمل فى دائرة « خورشيد بك » ولم يجرؤ القصر على طلبه مرة ثانية . والتحق عطوة بالعمل فى إحدى القرى المجاورة وكان يعود مع كل مساء ليناجى سرب الفتيات بنايه ، وألحانه تنشد من بين الفتيات فتاة بعينها .

انتهى « عطوة » من عزف ألحانه ، وتسرب سرب الفتيات واحدة تلو الأخرى على « الزراعية » ، وقد امتلأت نفوسهن بالأمل ، وعلت شفاههن البسمات . وتأخرت « نعمات » قليلا حتى سار « عطوة » بمحاذاتها ، وهمس فى أذنها :

— خلاص « يانعمات » . . وجدت شغلانة كويسة فى شونة

بنك للتسليف ، والأسبوع الجاى حاقابل أبويا الحاج علشان نتفق على كتب الكتاب . .

وأطرقت « نعمات » إلى الأرض فى خجل ، وأسبلت أهدابها على صورتها وهى تزف إلى « عطوة » أجمل شباب القرية وأقواها .

ـــ يا بختك « يانعمات » ستحسدك بنات القرية جميعاً على زواجك من « عطوة » . .

وهمست « نعمات » فى خفر . .

ـــ خلاص « يا عطوة » . . ، وأنا كمان حضرت حتتين قماش كويسين علشان الفرح حيعجبوك قوى .

وعاد صوت « عطوة » يهمس فى أذنها من جديد :

ـــ طيب أشوفك امتى لوحدك « يا نعمات » . .

فردت « نعمات » وقلبها يكاد يطير من الفرح :

ـــ بكره . . بكره زى داوقت . . عند ساقية أبويا بكر فى الضفة التانية يا عطوة . .

وعادت « نعمات » إلى سرب الفتيات ، تتابع خطواتها فى دلال .

وعند منعطف الطريق ، وقف « عصام » يرقب سرب الفتيات عن كثب ، وقد امتطى صهوة جواده ، وبسمة خبيثة تلوح على

شفتيه . وحين أقتربت « نعمات » اختصها بنظراته ، ثم لكز جواده عائداً إلى القصر .

وتتابعت الحوادث ، ففي المساء كان « عصام » يحاول مساومة الحاج « على » على ابنته « نعمات » ولكن أدهشه منطق الحاج وهو يخبره بأنه يفضل عليه « عطوة » ابن القرية :

— لأ « يا عصام بك » . . عطوة ابن البلد ومن لحنا ودمنا ، نعرفه ويعرفنا ، لكن انت غريب عنا . . تعيش فى القصور ، أما نحن فنعيش فى أكواخ . . « عطوة » ذاق طعم الطين . . وأنت لا تعلم إلا طعم البسكويت ، وبنتى ما تعرفش تعيش إلا مع واحد زيها لأنها رضعت من الطين وهى صغيرة .

ولم يفلح الوعيد ولا المهادنة مع الحاج ، فقد أصر على رفض مصاهرة « عصام » رفضاً باتاً . .

وفى الصباح . . افتقد الحاج على ابنته فى المنزل فلم يجدها ، وبحث عنها فى جميع أنحاء القرية ولكنه لم يعثر لها على أثر ، وجاءه من يبلغه أنه إذا أراد ابنته ، فليذهب إلى القصر ويوافق على رغبات « عصام بك » .

* * *

(٤)

اشتدت حلكة الليل ، وتسربت ريح رطبة من خلال أبواب

القصر . . ولم تكن الريح خالية من كل شيء . . فقد تسرب معها خلال أبواب القصر اثنى عشر رجلا يختفي وجه كل منهم وراء لثام أبيض ، ولا تبين منه إلا أعينهم الصارمة ، وفي يد كل منهم فأس تنتوى الثأر لشرف القرية . وحول القصر التف الآخرون من أبناء القرية يحرسون مشارفه .

واستيقظ «عصام بك» من نومه مذعوراً على يد خشنة تحركه في عنف . وفرك عينيه جيداً ليتأكد من أنه ليس في حلم مزعج . فهالته النظرات الصارمة التي التفت حوله ، والفؤوس المشروعة التي تنتظر إشارة واحدة ، وأيقن عصام بك من انه لا جدوى من المقاومة ، فقام وفتح إحدى الحجرات ، وخلفه النظرات الصارمة تتبعه . .

ولم تصدق « نعمات » ما حولها . فارتمت في صدر «عطوة» تبكي في فرح ، ولكنه نحاها عنه جانباً . وتقدم إلى « عصام » يلكزه في صدره .

— إسمع . . عملت للبنت إيه ..

وأقسم «عصام» في ذعر أنه لم يمسها بسوء ، ولم يشفع له إلا كلمات « نعمات » بانها لم تمس حتى الآن

وخلال لحظات ، كان « عصام » يجمع ملابسه ، ويستقل

سيارته إلى خارج القرية ، وجموع أهل القرية تتعقبه حتى اختفى مع الطريق .

وفى صبيحة اليوم التالى ، عمت الفرحة مصر بأكملها ، فقد ثار الشعب وقرر القضاء على الإقطاع . وكانت قريتنا أول قرية تحررت من الإقطاع .

ومع المساء عادت الى قريتى وداعتها . . وملأت الأفراح كل بيوت القرية تحتفل بزواج أقوى شبابها من اجمل فتياتها ..،وسار عطوه ونعمات وسط الجموع يبتسمان فى أمل.

لا تميلى ..

يا مهاد الأرقاء ..

أننى حر ..

وأفعل ما أشاء

فى بلادى ..

منبع التحرير ..

أفعل ما أشاء

والذى أهواه ..

تهواه الجموع

الذى أهواه ..

تهواه الجموع

فالدموع . .

لم تعد زاداً لشعبى .. والشموع

فى انحناءات الطريق ..

لتضيء . . .

مفرق الدرب المؤدى للمصير

والمصير . .

قد رسمناه بدمع الذكريات

فى الصدور

قد نقشناه إباء فى إباء

وأردنا أن نكون . .

لا دمى تلهو بها ريح الزوابع

لا جماجم

فوق أشلاء الثرى لا.. لا مدامع،

بل رجالٌ

نعصر التاريخ يا مهد الرفاق،

نعصر التـاريخ مجداً . .

و إباء

يا بلاد الأرفقاء . .

قد غرستُ الـكبرياء . .

فى فؤادى قد غرستُ الكبرياء

وأنا اليوم غنى . .

عن أخى . .

إن رام ذلى

عن أخى . .

إن شاء دفنى

فى سياج الترهات . .

فلتمدى . .

من خلال الضوء آياداً وضيئه

توجريثه ..

واذكرى..

أنك أنت ..

قد وقفت ..

ذات أصباح شهيده

تنظرين ..

لرعيل الحق لما ..

زان بالتيجان جيده

تبسمين ..

وعلى الكثبان ..

أينعت وروده

وعهوده ..

ياقصيده ..

رددتها الأبرياء

مثل أنشودة فجر

يا بلاد الأرقاء

لا تميلى ..

بل وكونى ..

كخيوط الضوء ..

تفرى قلعة البغى العتيده.

يا قصيده
رددتها الأبرياء

* * *

أطيافٌ

دعيني ..

واذهبي عني .. ،

نخمر العشق هيجني

بليل ..

كله أشباح أوهام ..

تطاردنى .

وأحداث . .

تمزقنى . .

وإعصار

يبعثرنى

هناك . .

على دروب الغيب . .

عبر متاهة الزمن

* * *

ولا زلت

غريب الدار . .

بين مراجل المحن .

كطير . .

شارد بالليل . .

من فنن . .

إلى فنن

يعاودني . .

بصمت الليل . .
تحنان . .
يؤرقنى .
ويزأر بى . .
عويل الشوق
مثل الجمر فى بدنى
وتنثرنى . .
يد الإعصار . .

فوق مراتع الجن .
هناك . .
بدربها المهجور . .
صمت الليل يغمرنى
فتأتينى ..
حسان الجن ..
بالأنغام ..
تسحرنى

تراودنى ..

وقالت لى ..

تعالى ..

ها هنا غنى

على شطآننا الخضراء ..،

واخلع ثوبك البشرى

* * *

فقلت لها :

أنا المصفود .

تحت ..

وشاحك العطر

فك القيد ..

إن القيد ..

أوهن مزهري السحر .

فجاءتني ..

وضمتني ..

وفكتني . .
من الأسر
وقالت ..
وانفعال الحب ..
كالتنور ..
فى الصدر .
حبيب العمر
معبودى ..

وهبتك ..
فى الهوى عمرى
فهاج الشوق وانبثقت
أغاريدى مع الفجر
وملت ..
على فتاه الليل
أرشف ..
ثغرها الخمر .

ولاحت..

فى ارتعاش الظل

أطياف الهوى تسر

وأضغاث من الأحلام ..

روّت بجدب العمر

قطعت الصمت والإطراق

بالتفكير ..

فى أمرى

فغابت فى كهوف
الصمت واتكأت ..
على قبرى ..
تناديني ..
إلى حيني ..
فقلت لها .. اذهبي عنى
فإن سعادتى الغراء
عبر فرادس الفن

فماذا .. ؟؟

تطلبي منى .

وناب الموت ..

ينهشنى .

أأصبح .. ؟؟

بلبلا فى الكون ..

صداحا ..

على فنن .:

أو الموءود ..
فى لحد ..
قوائمه من اللبن
أنام ..
فيأكل ..
الديدان ..
جثمانى ..، وينشرنى
رميما ..

شارد الأشلاء ..
فى دوامة الكفن
دعنى ..
فالذى
أهوى
حياتى
واغربى عنى

* * *

الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

قريباً يصدر ..

جمجمة على الطريق ..

مطبعة دار التأليف
٨ شارع يعقوب بالمالية - تليفون ٢١٨٢٥

المشـــاعل

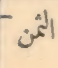
- « إبراهيم حسن » و « محمد حسين » : أولهما يقدم قصصاً ، والثانى يبدع أنغاماً شعريّة . . وهما يحملان نبْضة الحياة الدافقة ، مع نضارة الشباب وحيوية الأمل وروعة الإيمان بالمستقبل .

- إن كتاب «المشاعل» يمنحك لحظاتٍ ممتعةً خصبة ، ويثير فى النفس أرقّ الانفعالات ، وأدقّ الصور ، وأخصب المعانى ، ويحيى ميّت الآمال .

- إنه كتاب جدير بالقراءة المتمهلة الواعية ، وهو يبعثُ الحركة والنبض فى حياتنا الفنية والأدبيـة ؛ ويمزّق خيوط السكون والركود ، ويساهم فى خلق نوع من الجيشان فى حقلى الذهن والوجدان ، فى وقت نحن أحوج ما نـكون فيه إلى هذا الجيشان الذى يجعل لوجودنا معنى ، ولحياتنا عمقا ، ولآفاقنا اتساعاً ورحابة .

- وقد استطاع الشاعر محمد حسين ، والقاص إبراهيم حسن ، أن يجلوا النفس ، من صدأ تلك الرتابة المملة التى عليها من خلال كثير مما يذاع وينشر وينشد صباح

إبراهيم شعراو



الثمن